
لقمان ديركي
الأعمال الشعرية
نينوى
مدونة أبو عبدو
أبو عبدو البغل

الأعمال الشعرية

الأعمال الشعرية :

- ضيوف يثيرون الغبار، الطبعة الأولى، 1994، دار الفكرة.
- كما لو أنك ميت، الطبعة الأولى، 1998، وزارة الثقافة.
- وحوش العاطفة، الطبعة الأولى، 2000، دار كنعان.
- الأب الضال، الطبعة الأولى، 2003، دار ألف.
- شخوص الممالك الزائلة، الطبعة الأولى، 2006

لقمان ديركي

الأعمال الشعرية

لقمان ديركي

الأعمال الشعرية

الطبعة الأولى /2006/

1000

رسوم الغلاف: شاهي وشيرين ديركي

تصميم الغلاف والإخراج: باسم صبّاغ

فوتوغراف: بسام بدر

مقدمة

القصيدة المخالفة

بقلم : سعدي يوسف

القصيدة المُخالِفة

سعدي يوسف

طالَ ما وجد المرءُ نفسَه في حيرةٍ من أمرهِ، وهو يحاولُ مدخلاً مجْدِياً إلى قصائد لقمان ديركي ؛ أقصدُ أن المداخل قائمةٌ، متاحةٌ، لكنّ الجدوى متفاوتةٌ، ومن هنا تأتي الحيرةُ في اتخاذ الخطوة الأولى، الخطوةِ ذات العلاقة

بالشخص قبل النصّ . ليس بمقدورك (بمقدوري) قراءة نصّ لقمان ديركي الشعري بمعزلٍ عن تمثُّلِ شخصه .

والشخص، هنا، ذو مرجعيةٍ وراهنيّةٍ معيّنتين، والاثنتان منفصلتان عن عاديّة الواقع انفصالاً عجيباً .

ليس لدى لقمان مرجعية شعرية مقررة مقدّسة . لكنّ لديه اعتبارات : رياض صالح الحسين أولاً وربما أخيراً . لماذا يمضي بعيداً إن كان رياض مضى أبعدَ مما يتحمّل ويُحتمَل ؟ الدرسُ قائمٌ، مستمرٌّ . المرجعية شخصيةٌ تماماً .

أمّا الراهنية التي أنقذت لقمان من الذوبان في تفاهة النص السائد، فهي متّصلةٌ بأنه خارج الاعتبارات والمنافع والوظائف . ليس

موظفاً في صحيفة، ولا ناشطاً في تنظيم سياسـي، بل ليس ذا شُغلٍ ثابتٍ على أي حالٍ . هكذا

صار خارج التزوير والكذب، والضحكِ (شعرياً) على القارىء البريء عادةً . ثم أنه ليس مغرَماً بالقراءة، أي

أنه ليس دودة كتبٍ . مادّتـهُ الخـامُ مباشـرةٌ من الحياة (ليست الحياة اليومية المألوفة)، واستعدادهُ للاستقبال مستنفَـرٌ على الدوام، كأنـه آدمُ في هبوطـه الأول علـى أرضـنا ذات الرتابـة، الرتابـة الـتي لـن يعرفها .

لقمان، الكائنُ اليومي، في ديالوج دائمٍ دائبٍ : حديثٍ لا يتوقّف إلاّ مع الخمود الطبيعي لوظيفة الجسد . هذا الديالوج يتخذ هيأة السردِ في بهائه، ويمتشق أيضاً أسلحةَ السردِ في مضائه :

المباشـرة .

التقاط اللحظة .

الموقف النقدي .

ليس بإمكانك الفصلُ بين ديالوج الكائن اليومي، والنصّ الشِعريّ . إنهما متداخلانِ تداخلاً لا يتحمّل العبث أو محاولةَ التمايز .

يا لأدوارٍ أمنحُها أنا

يا لَشخوصٍ أرتّـبُـهم أنا

يا لَلمشهدِ يبدأُ بإشارةٍ مني

يا لَـلمهزلة !

قلتُ إن الشاعر مسلّحٌ بالسردِ، عارفٌ بما هو فاعلٌ، وملتقطُ لحظةٍ وزاويةٍ :

في يوم المسرح العالميّ

أهديتُكم ثماني قرنفلاتٍ

وكنتِ تعتذرين مني كلما مدحكِ شخصٌ .

في يوم المسرح العالميّ

أُسدلت الستارةُ

ولم تحجبْ من الممثلين سواي .

لكأن هذا هو التماهي الحقُّ بين المهرِّج والفيلسوف، بين اللاعبِ وما وراء اللعبة .

أليس الفن، بإطلاقٍ، هو هذا ؟

آنَ استعملتُ تعبير " المباشَرة " ، كان استعمالي احتراماً للمصطلَح وتقديراً ، وتأكيداً في الوقتِ ذاته على أن تجنُّبَ المباشَرةِ مرضٌ أصيبتْ به القصيدة لدينا ، مرضٌ ظلَّ يُعمِلُ في الشِعرِ تشذيباً وتهذيباً حتى فقدَ جناحيهِ :

قوادمَ وخوافيَ ، وحتى لم يعُدْ ذا مغزى أو جدوى ... بَعُدَ فابتعدَ عنه الناسُ وتناسَوه، لأنه ابتعدَ عن الناس وتناساهم ، موغلاً في اللامباشَرةِ ونفخِ الهواء في البالون المثقوب .

لكنّ المسافة التي يضعها الفنان (الشاعر هنا) بين الفن والحياة تظل قائمةً وضروريةً ، فهذه المسافة هي ساحة الوصل والفصل في آن :

سأغلق النوافذ جيداً

ولن أفتح الأبواب

سأرتق شقوق الجدران

لأنني أخاف

أن يدخل الهواءُ الذي تتنفسون منه إليّ!

هـي، إذاً، القطيعـة الموصـولة، أو الصلــة المقطوعـة، الجـدل الدائم الذي يمنح الحياةَ حركيةً واختلافاً :

وفي نهاية الليل

مع صوت غربان الصباح

أنام دون أن أفكرَ بكِ

لأنني لم أجد الوقتَ الكافي !

لقد مضى زمن العاشق المولّـه، الـمُدْنَف (ما معنى المدنف ؟) .نحن أمام مادّةٍ مسيطَـرٍ عليها . في هذه الأبيات نتابع أسراراً من صنعة لقمان ديركـي، نتابع المباشَـرةَ ، والتقاطَ اللحظةِ، والموقفَ النقديّ، ونتابع كذلك مهارة الاختزال والتكثيف .

القصيدة لدى لقمان معنيةٌ بقضايا كبرى، حقاً، لكن الشاعر ليس أسيرَ هذه القضايا . أريد القول إنه يمنح القضايا الكبرى، في السياسة والوضع البشري، ملموسيةَ الفنِ وملمسَـه، فتعود شاخصةً مشخّصةً، نائيةً بنفسها عن تجريديّتها القاتلة، وهكذا سنقرأ في ديوانه الأخير " شخوص الممالك الزائلة " شواظاً من ملحمة الأكراد :

يا إله الميديين حدّقْ جيداً

يا إله الـفُرسِ اسمعني . يا إله المنصّـةِ تعذَّبْ قليلاً . تململْ واقرِض أظافرك فلم تبدأ الملهاةُ بعدُ، ولم يأتِ

سيّدُها . قاضي محمد... أحفادك ناموا على الهزيمة، فلأكُنْ ومسـرحي حذاءً لك تلبسنا وتتمشى في الجمهورية القتيلة بعد عامٍ،

فلأكن ومسرحي شخوصاً لك تحرٌكنا حتى المشانق ... آااخ . أي حبلٍ كان ذلك الحبل ؟ أي شعبٍ كان ذلك المسوٌر حدودَك ؟ قاضي محمد ... ماذا فعلتَ حين تقدَّمَ الجنودُ وتراجعَ البرزانيون إلى جهتهم ؟

❖❖

مياهٌ كثيرةٌ مرت تحت الجسور ، وهي تمـرُّ الآن أيضاً .

لكن من العسير على قصيدة النثر أن تجد تجلياً لها أبهى ممّـا أنجزه لقمان ديركي .

إن قصيدته تستحقّ العميقَ من التأملِ والكثيرَ من الاحترام .

لندن 27 . 1. 2006

ضيوف يثيرون الغبار

إلى أمية

الطبعة الأولى - دار الفكرة 1994

من للريح، من للأرصفة

أصابعك للريح

عندما لا تجد قطاراً تستقبل فيه امرأة ما

أصابعكَ للقطار كله

عندما لا تعثر على العربة التي تحملُ امرأة ما

أصابعك لكل النوافذ

عندما لا تطلُ من إحداها امرأة ما

أصابعك للسكة

كي يمر عايها قطار كامل

من العربات والمسافرين والأمتعة

وعندما تتكسرُ تماماً

ستعرفُ أن العربةَ التي تحملُ المرأةَ

قد مرّت الآن.

بعد كل هذا التردد

والوقوف الطويل أمام المرآة

بعد التمارين المجهدة

لعبور شارع بيتكم دون ارتباك

بعد المرور أمامكِ كالبرق

ناسياً - عمداً - عنواني عند قدميكِ

ها أنا أطرق بابك

ولكن كم ستكون خيبتي كبيرة

إذا لم تكوني موجودة

فأنا لا أستطيع أن أكرر هذه الشجاعة

مرة أخرى

تهزني بهدوء
لتقول لي "صباح الخير" وتمضي
تاركة جسدي للنوم والدفء

أهزّها بهدوء
لأقول لها "مساء الخير"
وأنصرف إلى جوار المدفأة

منذ زمن بعيد ذهبتْ
تاركة لي عادتين
بالأولى أهز الوسادة
وأقول للسرير الفارغ "مساء الخير"
وبالثانية أسهر حتى الصباح
دون أن ينبهني أحد بـ"صباح الخير"

إنها تحبكَ وما انتبهت

اسأل الوردة في يدها

القصيدة في الحقيبة

إنها تحبكَ وما انتبهتَ

اسأل الذبول في يدها

الحروف المتدحرجة من القصيدة

إنها لم تعد تحبكَ

وما انتبهتَ

عادتهُ الانتظار

وعادتها أن لا تجيء

عادته كرسي وعيون على الباب

وعادتها أن لا تدق

مرة جاءت، دقت الباب

لكنه بقي على الكرسي

وبقيت عيونه على الباب

أيتها الشرودُ المتوج بانتباه

أيتها الوردة

توهت حدائقها ونبتت في البراري

وعبثاً أتشبثُ بكِ

يا أجنحة سقطت وبقيت عصافيرها في الهواء

ماذا سوى ريش وزقزقة

من للريح بعد شعرك الطويل

من للأرصفة بعد قدميك الصغيرتين

فرح بك

كتمثال عثرَ عليه للتو

في الشارع أخاف عليك

وعلى الرصيف أحبكِ

وعندما تندلع الحروب

أقف مدافعاً عن شارع بيتكم

على كل الأرصفة أسمع طرقات حذائك

وعلى كل العيون ألمح نظارتكِ

أمسحُ عن زجاجها صور كل الرجال

وعندما أعود إلى غرفتي

لا يفزعني سوى غيابك

في الليل الموحش

وحيداً

حزيناً

كتمثال عثر عليه للتو

كما لو أنني ماء

أعيد الحصى للشواطئ

وألاعب الريح

تمر السفن محملة بالقراصنة فأهدأ

وعندما يمر زورقك الصغير أتبخر

كما لو أنني ماء

أموت فرحاً عندما ألامس قدميك في مدي

وأموت حزناً حين أنحسر عنكِ في جزري

أنتظركِ

وعندما لا تأتين

أسدلُ أمواجي علي وأجف

كما لو أنني ماء

لم يكتشفكِ السنبل في جحورك

ولا نسور هرمت على ساعدي

لم ينتهِ عمري في معصمك

ولا مائي في ارتجاج جسدك

لم أكن قامة كي لا أنحني لسواك

ولم تكوني سمكة فتغرق عيني كلما رأتك

كأنني رجل تنسج العناكب حوله قلبه

بائد وقمصاني تزهو بجسدك

مائل عن حالي

وأنت تمدين رأسك من قمصاني الملونة

كيف أبدأ

وهاويتي صغيرة لسقوطكِ

ودمي مهما سال على المنحدر

لن يزلق قدميكِ

سوريا **1986 . 1989**

في يوم المسرح العالمي

وأنا كرسي شاغر
المثلون لا ينظرون إلي
والمتفرجون يجلسون على المقاعد الأخرى



يؤلمني الممثل
وهو يلمس يدكِ
ويؤلمني الآخر
وهو يعانقكِ
تؤلمني الخشبة والستارة أيضاً
يؤلمني الجمهور وهو يصفق لكِ طويلاً



ظهري يوجعني
ولست معكم على الخشبة
في يوم المسرح العالمي
أهديتكم ثماني قرنفلات

وكنتِ تعتذرين مني كلما مدحك شخص

في يوم المسرح العالمي

أسدِلتْ الستارة

ولم تحجبْ من الممثلين سواي

دمشق ـ صيف **1990**

ودَّعَ قطاراً من أجلها

يترك في الفراش نوماً قلقاً

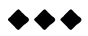
وبقايا أرق طويل

مكانه يرى الداخلين

مكانه فيه

يرى الخارجين

وامرأة مرتبكة لا تخطو إليه



ضغطَ كفّه

عاصراً مصافحات قديمة



عندما ودّعها

ملأت زجاج القطار بالقبل

فتكسر هو

والقطار يرتب امرأة لن تعود

انتظرَ قطاراً كاملاً من أجلها

ولم يرَ سوى حقيبة تمشي وحدها

تركه القطار ينتظر

وفي يده.. بطاقتان



تلكأ في المكان

خطواته خوف

الوقت مهلته

والأمكنة جوابه

لأنه هكذا

خطواته دائماً بلا أقدام



رجل بشرفات كثيرة

ثم لا يطلُّ إلا على امرأة واحدة

وحيناً تتساقط عليه شرفاته

تنهدم علي الجدران

وعندما يتمايل تقع من جسده أسبابه

وتتراكم فيه القبور

يجمع الأسرار حوله

ويمشي مفضوحاً بها

قبلته العجائز من جبينه

والأصدقاء من خديه

وامرأة وحيدة قبلته في المرايا



تلمسَ وجهه

تذكر التجاعيد التي ستحتدم فيه

وعندما التفتَ

أحسَّ بندم قديم يعض أصابعه



عندما مضتْ

لم يحزن كثيراً

ثم حزن كثيراً

لأنه لم يحزن

◆◆◆

سرح شعره

لبس ثياباً جديدة

تأمل المرآة وندم

وعلى المرآة حاول أن يكتب شيئاً

ثم لم يعد يَرى شيئا

ثم لم يعد يُرى

حلب ـ شتاء **1988**

تَذكُرْ

والحنين

حجر ثقيل فوق الكتفين

◆◆◆

في المشاهدة يَنسى

في التجول يبعثر نقوده

على عازفي الشوارع والأنفاق

وفي ساعات الراحة

يعذب نفسه بالتذكر

◆◆◆

في أنينه

شخص بعيد يحنو عليه

في غيرته

من يخلع خاتماً من أصبعه

حالما يمضي



يمضي بعيداً

ليمتحن جدوى الرسائل

لندن ـ كانون الأول **1991**

هذا المساء

من الذي سيأتي الآن

تفوح منه العطور

وفي يده ورد

من الذي سيأتي

في خطواته لهفة

وفي طرْقته على الباب ارتجاف

من الذي سيأتي

من الذي سيفتح الباب ويعانقه

ومن الذي سيرقب المشهد

ويتكسَّر من الإهمال

هل أنت وحيدة هذا المساء

كما قلت لي

لكن في عينيكِ بريقٌ غريبٌ

وعلى شفتيك نهم يقتلني

هل أنت وحيدة هذا المساء

لماذا نافذتك مضاءة إذاً

ولماذا على الشرفة ورد

ليتك تكونين وحيدة

كما قلت حقاً.. هذا المساء

إنني لا أكفيك وحدي

أصابعي العشر لا تكفي شعركِ

وساعداي لا يكفيان لضمكِ

وفمي

لا يستطيع رشف دماء شفتيك كلها

وحده

دمشق - شتاء **1992**

طاولات باردة

الذين كانوا يتمنون لنا الخير

ويسألوننا عن الصحة والأهل والدراسة

الذين كانوا يصافحوننا بملء أكفهم

وعلى شفاهم ود عميق

الذين وقفوا على أبواب القرى

وهم يودعوننا بحرارة

تجاهلناهم في المدن الكبرى

واختبأنا منهم في زحام البشر

الذين افتخروا بنا

وسَموا أولادهم بأسمائنا

الذين أرسلوا تحياتهم لنا

على شفاه أشخاص عابرين

وحكوا للجيران الجدد عنا

لم يتذكرهم أطفالنا

ولم نجد الوقت الكافي كي نذكّرهم

الذين علّقوا صورنا

في صدور بيوتهم

وخبأوا قصاصات رسائلنا والورود

في كتب أطفالهم المدرسية

الذين دافعوا عنا أمام الآخرين

واهترأت أصابعهم وهم يدونون مآثرنا

الذين وصلت الدماء لرؤوسهم

وكسَّروا الكراسي على رؤوس من استغابنا

كيف نسيناهم هكذا

يجفُّون في المقاهي

خلف طاولات باردة ومظلمة

المرأة الصغيرة

التي تشاجرنا من أجلها طويلاً

ولكمَ بعضُنا الآخر

حتى سالت الدماء من أنوفنا

المرأة التي نمنا في شارع بيتها مراراً

ونحن ننتظر إطلالتها الصباحية

المرأة الصغيرة.. ذاتها

بعد عشرة أعوام

مرت بجانبنا ولم ننتبه

الخزانة 5 التي أودعنا فيها رسائلنا

وشتائمنا للأساتذة

خزانتي في المعهد وقد ملأناها بالصور واللوحات

وأدوات التمثيل

الخزانة التي نسينا صورنا وأسماءنا داخلها

وخلعناها مراراً كلما أضعنا مفتاحها الصغير

افتحها برفق أيها التلميذ الذي سيأتي بعدي

لا تنزع الصور عنها

ولا تشطب فوق أسمائنا

افتحها برفق وهدوء

كي لا تزعج جثتي النحيلة في الداخل

أيتها الشوارع الضيقة في باب توما

أيتها الأدراج الحجرية إلى الغرفة

أينها الكنيسة في بداية الطريق

أيتها الأجراس

ليس لي بعد الآن أن ألصق ظهري بالحائط

كي تمر سيارة في الشارع الضيق

وليس لي أن أستيقظ صباح الأحد

على صوت الأجراس

ليس لي أن أعِد مريانا الصغيرة بقصة مصورة

وليس لها أن ترمي أعقاب السجائر إلى الغرفة

إنني حزين أيتها الغرفة

وأشد ما في حزناً "علاقة مفاتيحي"

وقد خَسِرَتْ مفتاحكِ الذهبي

دمشق ـ حزيران 1990

Hémitage

1

أنتَ لن تمشي اليوم

لن تستطيع

فلا تؤخرني أيها الحب عن الحب

لي كلام عنك فانتظر

أنت لن تمشي تحت المطر اليوم

لن تستطيع

فدعني أتبلل وحدي

ودعني أرتجف

فلن أتأخر أيها الحب

ولن أدوّنَ كلاماً على شجر

أو أترك شيئاً يذكّر بي سواكَ

وما من أحد ليتذكر سواكْ

ما أريد ليس كلمةً وبعدها يكونُ الرضا

ليس كالحقيقة ولا ناصعاً مثلها ولا حاسماً

فلا تسألني متى

إنه قرار الله

ولا تؤخرني أيها الحب عن الحب

ولا تخرجْ الدمى من جيب سترتكَ

ولا تضحك

ولا تقل إن الغربان البيضاء تحتاج لثلجٍ أسود

ولا تغلف كفيكَ بالصوف ووجهك بلفحتي

الخضراءْ

قفْ على الناصية الأخرى ودعني لا أراك

لا تأتِ في حُلمي

لا تطرق الذاكرة

ولا تؤخرني أيها الحب عن الحب

لا تلُحْ مع الشمس

لا تتساقط مع الثلج

ولا تأتِ مع الريح أو المطر

إنني ماضٍ إلى الحب

فلا تؤخرني أيها الحب

سان بيتر بورغ **1993.1.15**

2

سان بيتر بورغ هلوسة مخلوطة بفوضى

أشخاص ضربوا الأبواب بأقدامهم

واغتصبوا أمهاتهم في الظلام

ثم ناموا مرتاحين

سان بيتر بورغ حركتكِ داخل المدينة

وطيفكِ قرب الأرميتاج

أمشي محاذياً النهر

مستعيناً بضوء الثلج ولا أحد

وحدكِ

وتماثيل الأرميتاج حاشيتاكِ

سان بيتر بورغ **1992.2.20**

3

أشتاق إلى سترتكِ الملونة وضحكتك

أرقب المدينة ليلاً

أرى الضوء وهو يسقط على الأرميتاج

أمرُّ قربه ليلاً وأتخيلك تنتظرين

لكن لا شيء سوى التاريخ وهو يهذي

داخل جدران الأرميتاج

سوى التماثيل وهي تستل السيوف

وتتحارب بعد أن يخرج آخر حارس

مغلقاً خلفه الأبواب

سان بيتر بورغ **1992.12.22**

4

لأننا محض أعصابٍ تتبارى في التلف، محض روحين مخربتين، أتذكركِ كل الزمان وأعض أعماقي المهدمة ندماً.

موحشٌ مثل فراشٍ باردٍ لا ينام فيه أحد

الممرُّ طويلٌ ومعتمٌ دونكِ، بحاجةٍ ليدكِ وفمكِ وشعرك، لطيفكِ وهو يلومني أو يصرخ في ،لكنك لا تفعلين فأعجز أمام سكونكِ.

أيها الخطأ يا مساهري

نمْ.

نامي أيتها الذنوب واستيقظي مع صباحي

فما تركته مجرّد عظام، مجرد عصب خال من الشفقة، مجرد يد ربتت على كتفي وبقيت هكذا طيلة العمر تشي بالمغفرة وتوحي بالملام، نامي أيتها الذنوب فليس في بالي سوى كف أخيرة لوحت من خلف نافذة أخيرة لغيابي، ليس في بالي سوى نافذة، أفتحها كلما شئت وأينما كنت لأرى الشام، نامي أيتها المرأة نامي فذكراكِ مدماة وهجرانك أعمى، نامي أو ضعي نقطة بجانبي ، فلست سوى شخص بلا شفاهٍ أو عيون، بلا بريقٍ، بلا وردةٍ على الطاولة، بلا صباح الخير من فمٍ محبٍ، بلا ورق للكتابة، بلا جرس يرن.

لستُ سوى خراب، اتفاق شخص على شخص، بقايا سعادة تمر في البال ولا شيء سوى المارة وصوتهم للحظة العبور من أمام الباب، صوت الضوء وبرد، أتذكر يدك وأحزر ما الذي كان يدور في بالك

وأنت تخربين القصة هكذا

أحسدكِ على الشام

أحسد الشام عليكِ

فنامي أيتها المرأة نامي

ولا تحكي لأحد ما فعلنا

ولا تتذكري شيئاً

لقد ضيعنا خواتمنا أيتها المرأة

فما جدوى أصابعنا بعد.

سان بيتر بورغ **1992.12.25**

5

أول من يأتي إلى موعدنا أنتَ

ودائماً أتأخر

تعرف أي ورد أحب وتحضره

وتعرف أي الألوان

تنشر حولك الظلال وأنت تنتظر

فتحبكَ الظلال

وتحبك ألوان ملابسكَ

الورد في يدك يحبكَ

والمارة أيضاً وهم يرونك تنتظر

تحبك المباني حولك والسيارات العابرة

والناس الداخلون إلى مبنى البريد والخارجون

أحبكَ أيضاً وأنا أتخيلكَ تنتظرني

أحبكَ وأنا أفكر

مرة أخرى لن أستطيع المضي إليك

موسكو **1993.4.20**

6

بعد الحب

ما جدوى ما بيننا

فلست سوى جسرٍ يقودكِ إلى الهاوية

وروحي أشد ظلاماً

أقول الآن:

أستطيع أن أطرد الجميع من بالي وأطردكِ

ولكنك تستطيعين البقاء أكثر

أرجوك.. تستطيعين

موسكو 1993.4.3

7

شَعركِ في الدفتر مثل ورقة شجر

اليوم ممكن أن أراك ومستحيل

في حانة قرب الأرميتاج

قال لي سائح عابر إنك لم تعودي لي، وكان

لا يعرفني ولا يعرفك فصدقته

وفكرتُ أن ما بيننا سكة قطار مكسرة

وشَعرٌ يحترق في دفتر

وعشرات المدن

وكلها ليست لي

وكلها تؤدي إلى امرأة لم تعد لي أيضاً

منذ زمن بعيد

كما قال لي سائح عابر وسكران

موسكو **1993.4.25**

في شارع طويل

1

ها أنذا عجوزكِ

تجاعيدُ وجهكِ

وارتجاف الكف

ما تبقى في القلب

وما سَلِمَ من العطب

عجوزكِ المستوحش

السائر وحيداً

دون عكازٍ في هذا الشارعِ الطويل ودونكِ

2

أعمى أهوائك

الذي تقودينه مع كل طائرة إليكِ

عارفاً أنكِ لست لي مجدداً

وأن الشارع الذي تعبرين يجهلني

أعمى أمام جسدكِ

خائبٌ في المطار

والصديق الذي يسألني عنكِ.. يؤلمني..

3

أعرف من يعانقكِ الآن

وأعرف كيف يستغرب عرق كفيكِ الغزير

عرق المودة الذي بلل كفي في الصالحية

وباب توما

وشعركِ الذي بكل الصفات

فمكِ البريء والشهواني

ساقاكِ وصدركِ

كم كان علي أن أعلّمكِ كي يحبكِ الآخرون

كم كان عليَّ وأنا ألمس كفكِ أن أعرف

أن خاتمي ـ منذ زمن بعيد ـ قد خرج من إصبعكِ

4

في أي وقتٍ تستطيعين الدخول إلى البيت

لأن الباب يحنّ إليكِ

والجرس يشتاق لأصابعكِ

وفي أي وقتٍ تستطيعين

الجدران تحبكِ

والممر والكراسي

مقبض باب الغرفة سعيد وأنتِ تديرينه

والغرفة أيضاً

الشبّاك يحبكِ والخزانة والكتاب المفتوح

بجانب السرير

ومن الزاوية سأنهض للقائكِ

ومن أجلهم جميعاً سأقبلكِ

ولكنني.. يا اللّه.. كم أكرهكِ

5

أيها القلب

تستطيع أن تمحو الأثر

أن تقف تحت المطر وتضحك كأنها متعة

تستطيع أيها القلب

كما لا يستطيع أحد

أن تضحكَ كما كنت تفعل دائماً

كما لو كان هناك من يشدّ أزرك

كما لو كان هناك من يحبك

6

مهما كنتِ بعيدة سنلتقي يوماً

وستركضين لعناقي في حضور الزوج أو الوالد

وإذا لم تفعلي فيا للخيبة

كانت سنوات الحب كأي سنوات

7

في بلاد غريبة

وأنتِ تجتازين شارعاً غريباً

أتألم وأنا أتخيل شخصاً سواي

يخافُ عليكِ من سيارة طائشة

8

ضجرَ شارع البيت مني

والشرفة

والزهور عل طرفي الدرج

الشمس أيضاً ملّت مني

أنا ملقط الغسيل

المطبقُ منذ الصباح على قميصكِ الجاف

9

أحبكِ

كما لو أنك الصفحات الأخيرة

من رواية رائعة

10

ستأتين

ومن عجلتكِ سترمين معطفك على الكرسي

وتركضين إلى الغرفة

ستجدينني خلف طاولتي أفعل شيئاً

دون الدهشة لقدومكِ

أو ضحكة المفاجأة

بل إنكِ ستجلسين بجانبي

دون أن أنتبه لوجودكِ

وسترين بعينيكِ

كم من الصعوبة ألاقي

وأنا أحاول لصق صورتكِ الممزقة

حلب **1994.12.14**

ضيوف يثيرون الغبار

1

رأيتهم يقتربون كما لو أنهم ظلال، قلت: "يومنا قريب" فبانت ملامحكَ ، فتحتُ لهم قبل أن يطرقوا ، ضيوف يتعثرون بالعتبة ويخلعون أحذيتهم أمام الباب،

هذه روحي وأنا أقدم القهوة، روحي وهي ترتعش في فنجانك، روحي الخائبة في الفناجين غير المشروبة

فلتهبطوا علي بأقاويلكم وأقدامكم

ضيوف خرجوا دون تحية

ضيوف أثاروا الغبار أمام الباب

2

ها أنا

الخائب في عرسكِ

شبحي المختفي بين الجموع

والواقف بينكِ والعريس

وكنت قد رميت خاتماً في طريقكِ

3

صخب المكان ، "مار أفرام" يضحك على الحائط والمغني بُحَّ صوته وسقطتْ أعماقه تحت أقدام الراقصين المغني يصيح والراقصون يدلونه على الأغنية التالية، صخب الأرض، الأقدام تدق فيخرج النعاس سيداً في الاستراحة الأولى، النعاس والأكف المفتوحة.

أيتها العروس..

النبيذ مراق في العروق والدم قريب، أولاد العم يسقطون في عين العريس واخوته، الدم قريب.. والمطربون الشعبيون لوثوا أفواههم بالأغاني السياسية

دقي روحي إذن بقدمك، دقي جسدي بساقك كلها وامنحيني أصابعك قليلاً، دقي عيوننا الخائبة فيك

وامنحينا بركة الليلة الخالدة فروح المغني مداسة بلا مبالاة المدعوين، لوثي أجسادنا بارتجاجك في الدبكة، لوثي أكفنا الموحشة بضغط أصابعك، مرة ضعي الإكليل جانباً وافردي شعرك، مرة تذكري روحي الراجفة وجسدي النحيل.

الراقصون ينسون العروس وينتشون بأجسادهم، الراقصون يرتطمون بالسقف فتسيل الدماء من رؤوسهم ويتابعون، الراقصون يهتزون بعنف وعبثاً يتبعهم المطرب وضابط الإيقاع الذي لا تزين كتفيه النجوم.

العريس زاه وعشرون خائباً ينكسرون للخسارة المفاجئة

"لوركا لوركا.. هاتي السكين واقطعي الجبن"

هاتي أعماقي المدسوسة في جسدك

ردي لي الأغاني والقصائد ومشاوير المساء واللقاءات الخفية، ردي لي سُكّرَ القبلة الأولى وبحة صوتي، ردي لي عيوني العالقة فيك وعرقي الذي يسيل من مساماتك، لوركا لوركا.. هاتي السكين وقطعي هذا الجسد فلا سبيل إليك إلا قطعة قطعة.

من بين كل المدعوين نظرتِ إلي

ومن بين كل القلوب كسرت قلبي

تحيا العروس

يحيا العريس

إذا كان

نحيلاً مثلي

ولو أنك تغيبين عني قليلاً وتهطلين كالحجر الثقيل علي

ولو أنكِ بعين تشدينني إليكِ وبعين تلمّين أعدائي عليّ

لأنكِ خيبتي في العلو، خيبة السنونو والزارزير في فضائي

خيبة كلامي في قفزة متر مع الراقصين عن الأرض

كم مرة علي أن أمد يدي لأرتب شعرك

كم مرة سأحضر البنفسج ولا تأتين

كم مرة سأضربُ في الأرض دون ترمي حفنة زهور على جثتي

أيتها العروس جرحوا معصمك بالأساور

وضاعت أصابعك في كومة الخواتم

كيف أعثر عليكِ

كيف أفرّقُ بين الذهب وبينكِ؟!..

4

لا ترتبي شيئاً يا أمي

لا تسخني الماء

فلن أغسل هذا الجسد

لا تقتربي بالحنة نحوي

وخبئي العطور لأختنا الصغرى

لا تطرزي شيئاً

لا تداري شحوب وجهي

5

بالزبيب دهنوا شاربيَّ

وغسلوني بالعطور

رائحتكِ تنعشني

وجسدك يرمي عينيَّ إليه

كيف أضمكِ

كيف أضع كفي على صدركِ

كيف أرمي ثيابي وأرتدي الخراب

في ظلكِ

6

كيف سرق المطربون عويلي

كيف سيرى الغريب روحكِ

7

أثرتَ الغبار أمام بابي

خلعتَ قلبي

بيني وبينكَ كل شيء

كل شيء يمكن أن يهرق الدم

8

الأمير أمير حتى لو بكى

وعويل الذئب

عويل ذئب دائماً

9

يا ذئب امض عني

يا ذئب لا تمضِ

إنني أمزح

10

النوافذ لأجل الذين لا ينسون

النوافذ لإكمال القصص التي بترتها الأعراس

لأجل القبلة المرعوبة والقفزة الخطرة

النوافذ كي تلوِّحي

كي أتسلق وأسقط في جسدكِ على مرأى من

الجميع

النوافذ

كي ينتهي هذا الكلام بدم

حلب ـ صيف 1989

تحت الملاءات

وأنتِ تغوينني، تغسلين خطاياك بما يغيث الأرض ولا تلوّحين لمجيئي المفاجئ، أراودكِ، أغفو على آثامك وأهتف: أنا الخطيئة الحقة وأنت المرأة الجديرة بارتكابي، أخطاؤك البحر وترهات العشاق، لن أرجمك بعمري الناقص ولا أوقاتك، بمواعيدي الهشة، لأنك دائماً تحتشدين في النشيد مغتصبة الشعر ومكللة بمديحه، لأنك دائماً الدهشة الباقية بعد القصيدة لا تلوين علي ولا ألوي.

تغلقين الأبواب عني وتوصدينك علي كي أسفك خوفي وأدلق فيك وحدتي، تتكونين من الخوف والكتمان وما على السرير سوى احتمال الخطيئة المدهشة، كذلك الموت، غمد أنثوي ونعاس ذكر يسقط فيه، كذلك.. امرأة تداري نعاسها ورجل يداري الأرق، أما قلتُ.. تمايلي علي، لميني من أنحائك عاشقاً يحتذي بحروبه القايلة..

للأحلام وحدها ينعسُ

وللعاشقة وحدها ينحني

المرأة التي توصد الأوراق وتكتب

أنت التي تسندينني منك ومن رياح تهب، تترنحين عني إذا باغتني قتل وتغمدين القصيدة في بياض الورق كلما خذلك وقت، وأسرع عن مواعيدك

لك أنا

وأنت للهواء

شتاءاتي الموحلة وجسدي النحيل

وأنت للبيوت الموحشة

هكذا أرتديك فرواً وأرتجف منك

تأتين غارقة بأنوثة القرى وألفة الشوارع، كنت أستميلك إلى مقتل وقبرك سرير نبي في رقدته

أحبك، أقع فيك ولا أخرج إلا بمعصية وبعض أيد تجرني، قلت دائماً نتبادل الأوراق وأكثرنا يباساً يحترق، أحبك..

ثم أريق دوراتك على كوكبي المقفر، ليس لك أن تسألي ، كل ما أقوله غارق في الفراغ كهواء

وكل من أناديه.. أنت

أنت وقامتك ونهداك وعنقك الخرز، وما للطواحين لا تأخذك في دوراتها، ما للفحولة تتفرسك بعينها العمياء، أنت والدم الرتيب في أحشائك، ورياحك وثلوج الجبال المسروقة من ألوانك، أنت واحتمال الرعشة بين ساقيك وبقايا الأنوثة العالقة بطرف قميصك، أنت ويقظتك المدبرة وحدود شهواتك، كلك وما يستميلني إلى القصيدة.. هباء.

وكرجل رماني الوقت عند مواعيدك

أداري وحدتي بالقلق المستميت في أحوالك

تغمرين مساءاتك بالضوء وتنسكبين كنهر أعمى علي

وردة أنت ولن أتوجك بالرحيق

وكرجل ذاهل لن أشمّك

ولو أنك تودين بي، أيتها الحاملة سلة الليمون وما ينتابها من

تفـاح وخطـايـا ، لـيس لأنثـى ذات الرائحـة ولـيس للأقمـار ذات الضـوء ، اندلقي على أوراقـي لأخطـك كـوعـورة الشـعر ، إنـي أخـذتك مـن الآخـرين ومسرحي أقنعة تتبادل الوجوه، أي اشتهاء يحمل إليك المقتل وأنـت تـرمين الرجـال مـن جسـدك الغـابر ، ولـو أنـك تقتلينـني.. أحبـك.. مـن فمـك حتـى العنق فالباب المؤدي لغمـوض اللحظـة ، وقـد اقتـرب العـارفون مهللين لـك ، أنت تعـرفين كـل بـأس فليس لـك بعـد أن تُغمـدي فيَّ، كمـا ينتهـي القتـل بحياةٍ تباركه أو بمن يندم.

بلودان **1987**

أعماق مُقادة

اقتربي قليلاً أيتها الخطأ المذهل، كل ما قالته الريح لشعركِ كان خفيفاً ولم أحترق في غيبة من بردك، لم أنزل عليك الأنهار وخبأت في أصابعي كل ماء كي تبقى في جسدك رائحتي، إني أسقط فيكِ فلا ينتشلني أحد.

لستِ من أرتجف أمامها، ولست العارية على فراشي، قسوة الرب كي أكرهك، كي أمنح سطوتي دخانك وألفَّ روحي حول روحك، أقذفك إلى أعمق بئر فيَّ. أنت الكلام الذي قلته وندمتُ الكلام الذي لم أقله وكاد يقتلني

تقودين أعماقي إلى الهبوب وتتماسكين،.. أسراره.. كي أفضحك، ولو أني متوّج بأنينك، لا أرتسم ورداً أو نحلاً في وجهك، هواء أخرِّب رئتيك، ماء أغرقك في وأستريح، أو عاصفة أهيل عليك ما أستطيع من تراب.

المنحوس بطالعك، لا فأل لي كي أمنحك حياتي الباقية، ولا ماض لي كي أتوجك بمجدي الغابر، فليقتلك الرب لأعرف أينا الأنثى.

أراك في الطريق وتحت الأوراق، في شتاءات هابطة على شعرك وتحت أمطار قاسية، في الأقبية ومداخل البيوت ولا أرمي عليك سلامي.

ولو أن طعم فمكِ في فمي وزغب بطنكِ يداعب بطني، تحياتك في أصابعي وخرابك في روحي، كيف أُسقطُ ما علق منك فيَّ، لأنك

خصمي وحبيبي فلا يحكم بيننا الرب ولو بالعدل.

لأنك بجعة تتعرى من ريشها وترمي جسدها لقامتي المتعبة،

أترك جسدك تحت جسدٍ غريب.

أدخل ولوقفتي هيئة ثملٍ

وتحت أقدامي تمر سنونٌ مرة

بصفات منتقم غابر

يقتلك لا ليثأر من أحد

وينتحر لا ندماً عليك

أرمي زهوري على المائدة وأرمي أسلحتي، ومثل عاشق عظيم أكسر

أضلاعي في عناقك، أرمي روحي على المائدة وأقبّلكِ.

مقدم عليك وفي كفي المطبقة تلمع صورك

موشكٌ عليك وأسرارك تطل مني عيني

ولقد وقفتُ أمام بابكِ

وكم كان الحشد

كم كان

دمشق **1989**

من يربط أقدامي بأسئلة الحديد

ولأني حي أتوق إلى موتي

ولأنكَ حاضر أتوق إلى الغياب

منْ يواري لهفتي في غير مكانها

من يضع لفمي حروف الردة

ومن سيربط أقدامي باسئلة الحديد

أدخل الحرب، في هيأتي عشرون متحارباً، أبحث عن غيري ولا أحارب سواي، أخرج منتصراً وتحت إبطي عشرون رمحاً منكسراً، أخرج منهزماً وفي ظهري عشرون رمحاً وكلام

أيها الوريث الأخير لمسافات الأرض أخرجْ الطرق من جيوبك وانثرها رحيلاً أمامي، لو تكلمت الأرض لباحت بك، لو بكت السماء لذرفتك، ولكني داخل الحرب وخارج الصليل لا أجد سواي

في أوراقك تتجمع نهايتي، في حبركَ يدور كلامي

أية ريح ستقتلع من فمك أسناني الهرمة

أي شجر سيمنح جسدي ظلالك

بدأت الأعراس، وفي كل عرس كنت آهيئ نفسي لقتلي، وفي كل مرة ينتصب موت بيني وبيني ولا أقتلني.

أنتظركَ خارج الطرق ولا أرى في المسافرين سوى قامتكَ الماثلة علي ،العالم ضيق علي

أو هذه الرقعة الصغيرة تحت قدمي

فضفاضة علي

إنها الريح، صفير آخر مغنّ في هذه الرقعة

إنه الكلام

دونك ودونه

أضع رأسي على الوسادة

ولا أنام

الحسكة 1986

روحك أمامكَ في المرآة

كأن نتردد في القول، الكل يسقط والجزء يصيب

لكن لا شيء سيأخذ منا ما جمعته السنون، لا شيء يمضي أكثر منا إلى نهايته، حتى لو كان الموت دليلاً، نكون السابقين ولن نبني خلفنا أي غبار أو ملهاة عبارة.

- ولكنك لا تجيب

- كأن نحتدم في القول ونترك للريح أن تحاور الرمل، حيث لا مكان لسؤال ولا شفة لجواب، عندما تموج الحقول ويتساقط السنبل، حين يرتفع الموج ويفرط البحر على الرمل يحق لك السؤال ويحق للجميع - ماذا جنت السواحل من البحر

وماذا جنى البحر

لأنني سيدكَ أو يروق لي أن أكون كذلك، حين تخرج الحكايا المنسوبة للريح يحق لي أن أكون سيدك ثم أحني قامتي لسيد آخر ثم يحني حتى نكتشف السماء

- كم تمزقتُ حتى بنيتُ ثوباً كهذا؟

كم جرحتُ كفي وأنا أرتبُ سيفَ العدالة يين كفتي الميزان

- كي ترى ما لم يره الآخرون

صراع الهين على صلاة امرأة

طرقاً تقترع على خطوتها الأولى

ـ هذا عدل يتراقص على الموازين، يرصع قدميه بالمعادن ويسقط في الكفة الراجحة، هذه ريح تعصف بما تشاء وهي عمياء.

هذا الكلام غريب عن الشفاه

أنا الكلام وغيري يزين الشفاه

أعلن وقتاً لم تعلنه الساعة

أنا الكلام وغيري يربك الأقلام

أعلن صفيراً لا تصل به القطارات

أجتمع، لا شيء يبعثرني

أتناثر، لا شيء يلمني

أموت والبياض حولي خطيئة دامية

ما بقي من ركض في أقدامي لا يكفي للهروب

وما بقي من صوت في فمي لا يكفي للكلام

فماذا جنت السواحل من البحر

وماذا جنى البحر؟..

ـ كأن هكذا، أن تتمرغ في الريح بكل جسدك، أن تتبارى مدائح الهواء فيك ثم تسفك الأجوبة عند قدميك، فما من خطوات ستمحو خطواتك إذا كنت آخر القادمين، وما من قدم إلا وتعثرت بخطواتك إذا كنت أول الآتين، ألاقيك عند حافة الأرض وإذا سقطتَ فلن يلتقطك غيري

أحضر شتائم الأرض كلها وامدحني

ـ أهزك كي يسقط قتلاك منك وأقع فيك مذنباً أكيداً وخطيئة لا تعاد، أدور عكس الأرض ولكني أدور فيها، أذبل عندما

تتفتح الورود ، تتنابني كأنك الرعشة.

ـ قلتَ ما ينبغي وسمعتُ، ولكن قل لي أية ريح تعصف بكَ أقل لك من أنت، أقل لك أية ريح أنا ، فتنظر إلي نظرة الذي وصل إلي حتى يتبدد عمرك وأنت تصل لأنني روحك أمامك في المرآة.

ـ قل لي يا روحي في المرآة إذن إن الخيانة تأتي من جهة واحدة،
تأتي من الخلف
فأي المرايا أكسر إذا كانت الخيانة تأتيني من كل الجهات..

حلب .كانون الثاني.**1987**

طريق عودة منسي

أيها القبلة المستحيلة

أيها الرسالة التي لا تصل

عندي كلام ضدكَ.

مـنْ أحبـكَ سـقط عنـد حـدودك لاهثـاً ، مـن كـرهـكَ أفـلَ عنـد مشـارفك ، وأنـا .. كـم تعـذبت فيـك وأنـت تضـمد موتـاكَ كمـا لـو أنهـم جرحى.

لأجل من سأقف في الظهيرة الحارة ، لأجل من سأرحب بالذباب والرطوبة والضيوف العابرين ، بالماء البارد والأجساد المستلقية على الاسمنت العاري ، بالخناجر العالية والأواني الصدئة في الباحات. بالنصال الدامية وصوت السيارات العابرة وطنين الدراجات النارية من بعيد ، بطلقات حرس الحدود في عز الظهيرة ، بالرطوبة وصرير الأبواب ، بالرجال المكشوفين تحت الظهيرة ، بالرجال المقتولين في غفلة من الشمس.

منذ زمن وأنا أعد النبيذ

أعد كلامي المنتشي

منذ زمن وأنا أبتكر خساراتي

وأسوق الريح ضدي

دون شباك أعبر البحر ، أودعُ روحي في جميع الأسماك ودون

سمكٍ أعود، وعلي أن أدق جميع الأبواب كي أسترد قتلاي، كي أتذكر ظلي وهو يسبقني إلى الأرض، قليلاً من الوقت إذن أيها الموت كي أخمد عصيان قلبي، قليلاً أيها الغريم الصامت، فماذا بعد أن شردت أبقار القرى إلى المدن المجاورة، ماذا بعد أن صدمتها الشاحنات العابرة، ماذا بعد النجوم التي حطت على أكتاف الضباط كاعتراف من الله.. ماذا؟.. وبماذا ستكمل المهزلة أيها الغريم؟..

ضد كل شيء من أجل لا شيء يا جليس الساعة الأخيرة، يا سليل الشر وجاني أوراق البشر من السماء، دع لي أن أكرهك قليلاً، أن أسابقك حتى آخر المسافة المفضية إليك

أيها القبلة الأخيرة

أيها الرسالة التي دائماً أصل أنا إليها

ليس الهواء ما يوصل صوتي، ولا البناؤون من يعيدون ترتيب جسدي، ليس خراباً ما يعتريني وليست المتعة ما يؤخرني عنك، لقد اقتربت منك أيها الموت فدع لروحي أن تصفر قليلاً كما لو أنها تصلُ على مهل، دعها ترقص قليلاً كما لو أنها غير آبهة بكَ، دعها تستعيد ألق السنين الغابرة كما لو أنها تصلُ سعيدة.

منافسي الأوحد وغريمي الأخير، آخر الذين يصلون إلي، أجملهم وأقساهم الموت.. شريك الأرواح، عشيق أهوائي ومدمر حالي، دع لي أن أترنح في طريقي إليك كما سكير لن يصل.

وهل أصل إلى اللحظة الأخيرة، لحظة اعترافي بكل أخطائي، وهل سيرافقني أحد؟

- لا أحد يرافق الريح إلى الخراب سوى ما تعصف به

اعصفْ بي إذن، معي الجميع وانتقيني، فأنا الذي ضدك من أجل أن أموت، ضدك من التراب إلى التراب ومن الدودة إلى الدودة كي تقول إنكّ تنتفض لأجلي الآن، وإني الأوحد الذي قدمَ إليكِ بحياة كاملة أقدمها لكَ كما لو أننا صديقان، أيها الغريم الأخير فليكن للريح مكان بيننا وليكن لي أدفنَ تحت هذا المكان.

غير أني لا أعرف أين أمضي بكل هذه الأخطاء

لا أعرف من يمتلك الحب العظيم كي يصفح عنها جميعاً، ولا أعرف كيف ارتكبتها في هذا العمر القليل وحدي، أرتجف بجانبك وفي غيابك أرتجف وفي غفلة من أصابعك أرفع كفاً من الخواتم وأهتف: بصحة الموت هذا الخراب

هذه الأسوار والخناجر الملتمعة

كسرد ممكن لهذا المستحيل، كأن أصفكَ وأتركك سراً ينخر في فمي

أيها الموت هل أستطيع أن أحصيك، هل أستطيع أن أمتلأ بالنشوة وحدي؟..

أتقوقع داخل روحي فيفضحني الجسد، أخبئك في جسدي فتفضحك الرائحة، ماض عنك.. لك أن تشيعني فأنا أنسى الحكاية، كلما ابتعدتُ عنها وأنسى زبيبي يابساً على الأسطحة،

أنسى غسيلي

تحت المطر

وأنسى طريق العودة إذاً ما عنَّ لك أن تناديني

ملك مخلوع وعرشي أسنان مخلوعة مثلي، عندما أمضي ناسياً

أوراقي الخاسرة في الكتب المقدسة أظن نفسي من قتلَ المسيح..
كسرد ممكن، كأعجوبة أفلتت منك بأعجوبة
ناسياً غريمي خلف الطريق، ناسياً هاويتي

حلب . 1990

كما لو أنك ميت

إلى شاهي

الطبعة الأولى - وزارة الثقافة 1998

كما لو أنك ميت

أيتها الأعماق البائسة

أيتها القشور البرَّاقة الضاحكة

في خريف أبدي

تسقط أوراقي الصفراء

فيدوسها الآخرون بلا اكتراث

آه أيتها الأعماق البائسة

التي تئنُّ تحت قشور برَّاقة ضاحكة

وحدي أمام نافذة

لا مشهد خلفها

البيت كئيب

والجدران مملّة

وحدي أعضّ ضجري ووحشتي

مهمَلاً

خرجتْ امرأتي

وتركتني في البيت وحيداً كامرأة

سأتركك وحدك

مع هذه الشمعة

وهذه الكأس

مع خطاياك يا روحي الصفراء

رأيتك من بعيد

وكنت لا أستطيع إلا أن أراك

الألم ثقيل على قلبي

والحب أيضاً

أنسى شعركَ الأسود

لأن سواك بشعر غير أسود

أتركك في بلادٍ بعيدة

غريباً ومستوحشاً

تربكني رسائلك وخطُّك الركيك

يربكني الطابع الغريب على الظرف

لا تكتب شيئاً أرجوك

ولا ترسل كلاماً على شفاه عابرة

فأنا لم أعد أحبك

ولم أعد أذكر منك سوى مزاياك الحسنة

كما لو أنك ميت

لا تفعل شيئاً من أجلي

فأنا مجرد شخص منسي وموحش

مثل وردة في مزهرية جفّ عليها الماء

مثل خشب في باب بيت مهجور

مثل ريح تهبّ وحيدةً في صحراء

أمشي في الشارع وحيداً

أردُ على التحيات العابرة

هناك من يقبّلني

ثم يشتمني بعد أن أمضي

وهناك من يعرّفني على صديقته

ثم يقول لها: أفاق، موهوب وسافل

هناك من يغيّر طريقه كي لا يراني

وهناك من يبذل جهداً

كي يلحق بي

أو يناديني بصوتٍ مرتفع

ولكنني أكون قد ضعتُ في زحام البهائم

تسحل خلفي سمعتي السيئة

مكشوفة مثل مخبرٍ رديء

أكرهكَ

لأنني وحشتكَ الباقية هنا

والأنين المكتوم على مضيكَ

أكرهكَ

لأنني مجرد شخصٍ يذكّرُ الآخرين بكَ

لا تكن شيئاً لأجلي أرجوك

دعني وراء هذا الجدار

ولا تكسر هذه الوحشة

فالهواء الذي مرَ لم يحرك شعري

وأعدائي انهمكوا باقتسام الغنيمة

وتجاهلوا محاربتي

مضى الآخرون

كما يحدث دائماً

دون أن يتركوا ورقةً على الباب

أو كلمة عند شخص ما

مضى الآخرون وتركوني

وحيداً وجميلاً

مثل أمير حزين

ما الفائدة إذن

من هذه القصيدة

إذا لم تقرأيها بخط يدي

ولم تتساءلي لماذا حذفت هذه الكلمة

وبدّلتها بأخرى

إذا لم تمنحيها دفء أصابعكِ

وحنان نظرتكِ الدائم

ما الفائدة إذا قرأتها هكذا

كما يقرأها الآخرون

على صفحات جريدة أو كتاب

في هذا الشتاء

بين ريح قاسية ومطر

برودك أيضاً يكمُل المشهد

في هذا الشتاء

بين هذه الريح وذاك المطر

كيف لي أن أقف.. دونكِ

مللتِ مني

وربما من الغرفة الجديدة أيضاً

طرقات حذاءٍ تمضي بعيداً

وأنا أنتظر أياً كان

لا أحد..

أيَّة يدٍ حنونة ستطرق الباب

ولو خطأً

قهوة على الحائط

عضة في الرسغ

فناجين مهشمة في الممر

ونبيذ مراق

خرج الضيوف خجلاً

وأنت سعيدة

فها نحن وحدنا مرة أخرى

أيها الصوت الآتي من بعيد

في رنينك مودة

وفي لهفتك حب

فلا تصدقني أيها الصوت

وقل مرة عني (كاذب ومخادع)

كي أنام مرتاحاً

ولكن ما الذي تريدُ

تمضي متى تشاءُ

ومتى تشاءُ تعودُ

آما آن لك أن تعرفَ

أنك مؤلم حين تمضي

ومؤلم أكثر حين تعودُ

الكراهية

سقطت الوردة من الكف

وما لّمها أحدْ

والذي أحبكِ أيضاً

سقط

وما لمَّ كلمته أحدْ

والذي كرهك

عاش في جسدك إلى الأبدْ

لأنكِ خنتِ سيدكِ

أمام حارسكِ

أضحى داخلك وحيداً

مثل ثقب في إبرة مرمية

أمام نجمتي الوحيدة
وتحت قمري الساطع
كنتِ تقبّلين سواي

هذا كثيرٌ على القلب

أكثر من آلام الحب

أكرهك لحظة حتى أنسى أنني غنيتُ لأجلكِ

أنكِ بكيتِ من أجلي

وسهرتِ حتى الصباح فوق صورتي الباهتة

والذي على مهل مدّ يده إلى ثوبكِ

فقبّلته وشممتِ جسده

والذي أحببته

والذي ضيعته

والذي لكِ

منْ حكيتِ لرفيقاتكِ عنه

ولامستِ شعره بيدكِ

وخلعتِ ثيابكِ من أجله

وضربته وخمشته فأحبكِ

ثم مضيتِ وما عدت

فأحبكِ كما لم يحبكِ

لقد أتى الجميع

وسأغلق عينيَّ

كي لا تكوني بينهم

آه منكَ

يا نص الكراهية الأرعن

بالقبلة تبدأ الكراهية

بأغنية قديمة نعرفها

بشارع مشينا فيه معاً

بشجرة عليها اسمانا

بسرير رديء فيه رائحتنا

تبدأ الكراهية

كالحقيقة.. مخيفة وساطعة

حلب 10.1.1994

في أي بيت

لم تقل أمي لضيف

هذا سريره فلا تنم عليه

ولم تنبه أختٌ زوجها

كي لا يرتدي قميصي

ولم يقل الأب للعائلة

لا تأكلوا.. انتظروا حتى يأتي

ولم تقل أختٌ لأختها

لا تفتحي الباب عليه فهو نائم

ولم تقل لصديقتها

حاذري .. إنها زجاجة عطره

ولم ينبهن أولادهن

كي لا يمزقوا كتبي ودفاتري

لم يقل أحد شيئاً

غير أنهم جميعاً يعتقدون

بل ويقولون للأغراب بحسرة

إنهم لا يملكون في هذه الدنيا البائسة

شيئاً سواي

دمشق **2.12.1995**

فوق أرض جليدية

وتحت أرض موسكو

وسط ريح باردة

بأقدام مرتجفة

وأصابع موحشة

أنظر بعيداً حيث دمشق

عارفاً أنني لا أحن إلى الدفء والشمس

بل إليكِ

موسكو **5.1.1993**

أربعون ألف متفرج

يشجعون الفريق الأحمر

وأنا وحدي أشجع فريقي الأخضر

أربعون ألفاً

يشهقون ويصرخون ويزمجرون

عند كل كرة ترتطم بعارضة مرمى فريقي

أو يلتقطها الحارس

عند كل فرصة لهدف أو هجمة خاطفة

وأنا وحدي لا أستطيع القفز

عند كل كرة خطرة لنا

ولا أستطيع أن أصفق

لهجمة حلوة أنجزها فريقي

ثم يحرز فريقي هدفاً

فلا أقفز ولا أصرخ خوفاً منهم

ونحرز هدفاً ثانياً

فلا أنفعل

لأنهم أربعون ألفاً

يستطيعون سحقي لحظة غضب

ثم تنتهي المباراة

فيخرج الأربعون ألفاً مزمجرين

وهم يشتمون كل شيء

ويرفسون حجارة الطريق

بينما أبكي أنا

فيربتون على كتفي

وهم يعتقدون بأنني

أشدهم إخلاصاً لفريقهم الخاسر

دمشق **23.12.1995**

لي الحق

أن يقودني أحد ما إلى الهاوية

أن تفوز روحي بالسماء

لي الحق

أن تطرقي الباب يوماً

فلا تجدينني

أن تضعي كفكِ على كتفي

فتجدي أنها على ماء

دمشق 1.11.1995

هذه السماء الواطئة

والأشجار الكئيبة العارية لي

الشتاءات القاسية

الثلوج ووحشة البرد

الأرصفة والمقاهي الرخيصة

الحانات الصغيرة

والباصات المزدحمة

البشر الحزانى

وضجر الأيام لي

وفي أيامي السوداء

تمضي نضارتكِ وضحكاتكِ

فمكِ المرح

وعيناكِ المتألقتان إلى سواي

ولكن يكفيني

أن روحكِ المنكسرة

وشحوبكِ

ووحشة عينيكِ دائماً لي

دمشق **4.11.1995**

عندما أعود إلى بيتٍ

أيِّ بيت

تلفُّني الكآبة

وأنا أتلمس المفتاح الغريب

أخرجُ دفتري وأكتب قصيدة في بيت

في أي بيت

وإذا فاجأني أحد وقاطعني

فلن أستطيع الصراخ بوجهه

كي يتركني أكتب

وإذا مازحني أو سخر مني

تحبباً أو كراهية

فلن أفعل سوى أن أضع القلم

وأحدّثه حتى يضجر

لأنني في بيت

في أي بيت

وعندما تكونين منهكة من التسكع آخر الليل

تضيفين كآبتكِ على كآبتي

وأنتِ تتمنين أن تمضي معي

ولكني لا أستطيع سوى

أن أوصلكِ إلى البيت

وآخذ كآبتكِ معي

وأمضي إلى بيت

إلى أي بيت

دمشق **3.11.1995**

سوف يسقط الثلج

وهذا محزن

لأنكَ، لن تكون هنا

دائماً كلما سقط الثلج

لا تكون معي

وأنتَ تعرف كم أحب الثلج

لا تسقط أيها الثلج أرجوك لا تسقط

.

؟؟.؟؟.؟؟؟؟

لم أسجل يومها

تاريخ كتابة القصيدة

ثم احترتُ بعد ذلك

أي تاريخٍ أذيلها به

وأي مكان

بحثت عن تاريخ مزور لها

ومكان مثير

ولكني لم أجد في أيام السنة

يوماً مختلفاً عن يوم

ولا على سطح الأرض

مكاناً قريباً من قلبي

لم يتبادر إلى ذهني

أي رقمٍ عزيز على نفسي

من هذا التاريخ الطويل

دمشق **27.12.1995**

لو أنك لم تمت الآن

إلى جوان شيخو

لو أنكَ لم تمت الآن

لكنتُ سأكتب لك رسالة

وأقول:

حياتي مظلمة

وأحياناً حلوة

لو أنك لم تمت الآن

لكنت سأكتب:

أنت صديق بلا مناسبة

وأنّ أمك تحبك

كما تحبني أمي

وتخاف عليك

ولكن..

لو أنكَ لم تمت الآن

لقلت:

إنك مثلي

ولكن أرق

وأقل خبثاً

وإنني متردد وعنيد

وهش مثلك

وكنت سأقول: أريد أن أموت

حظي من البشر مثل حظك

ولو أنكَ لم تمت الآن

لما تألمت

وما تكسّرت أعماقي

وما فكرت أن هناك منْ مثلي

سيتألم لموتي

لو أنكَ لم تمت الآن

دمشق **8.8.1995**

أن تخرج من البيت مسرعا

وأنت ترتدي أخر قطعة من ثيابك

وتحشر قدمك في الحذاء

أن لا تتذكر لفرط عجلتك

إن كنت أغلقت الباب خلفك

كي تمضي إلى لقاء لن يتم

حيث لا أحد ينتظركَ

ولا أحد يكسر قلق وقوفك الطويل

أن تفكر أن لا أحد يستحق

أن تخرج من أجله صباحاً

دون أن تشرب قهوتك

دمشق **15.8.1995**

تقسين ويعلو صوتكِ

تتأخرين في القدوم

وأحياناً لا تأتين

لأنك تظنين أن قلبي حجر

يخفُّ كلامك الجميل

وتقل ابتسامتكِ

وتفكرين بالمضي

بل إنكِ الآن تمضين

لأنك تظنين أن قلبي حجر

دون أن تنتبهي أنه يتفتت الآن

دمشق **10.9.1995**

الذين مضوا

الرسائل التي وصلت منهم

ولم أجد الوقت الكافي لأرد

الرسائل الضائعة

والعناوين الغامضة

لأشخاص داسوا على كرامتهم

وكتبوا لعشرات المرات

دون أن يصلهم جواب

ولكنهم مازالوا كما كانوا

في الشوارع أو البارات

يكتبون لنا

ويشددون أن نكتب العنوان جيداً

لأن رسائلنا لا تصل

دمشق **1.9.1995**

في الظلمة

وسط هواء بارد

أخذتَ مني كل شيء

ومضيت أيضاً

تحت أوراق صفراء

وقمرٍ منكسر

كنتُ أناديك

أخذتَ معك كل شيء وتركتني وحيداً

في الظلمة

وأمام نهر مسرع

تحت المطر

وبين ريح قاسية

فوق قمة شاهقة

أخذت نفسكَ مني

وتركتني للذئاب

وحيداً وعارياً

دمشق 13.5.1995

كيف لي أن أحظى بصديق مثلك

في هذه الأماكن

حيث لا شيء سوى ماء راكد

وأحاديث مملة

يا صديقي أندرونيك

الذي دافع عن فتاة عابرة

في أحد شوارع موسكو

ها إنني أنتظر قدوم الصديق من سهرته

أمام باب بيته الموصد

ها إنني أنتظر

يا صديقي أندرونيك

الذي ينتظرني

على أبواب مطار موسكو

كل صباح

دمشق **9.6.1995**

لأن العرس لم يكن مبهجاً

والأم لم تبتسم لقدومكَ

لأن الأخوات لم ينتبهن لوجودكَ

وأولاد الأخت لم يركضوا إليك ضاحكين

خرجتَ وفكّرت

ربما لأنك عنيد

عناد قصة حب يحاربها الجميع

دمشق **3.7.1995**

في وقت متأخر الليلة

أنتظر عودتكِ أمام باب بيتكِ

وأخاف

أخاف أن أرى شخصاً يوصلكِ

أو يداً غريبة تصافحكِ

أمام الباب وتختفي

أخاف

أن أراكِ تهبطين من سيارة فارهة

وعلى وجهكِ ابتسامة رضا

أمام باب بيتكِ

وبقلب مرتجفٍ أنتظر عودتكِ

خائفاً من ثقل المفاجأة

ولكن كم سأكون حزيناً

إذا لمحتك تظهرين وحيدة

من بداية شارع بيتكم الطويل

دمشق **12.3.1995**

أيها الشخص الذي طرق بابي خطأً

دع لي عنوانك

كي آتي يوماً

وأطرق بابك

فربما يرقص قلبك فرحاً

وتعود روحك إليك

ربما تستفيق من أساك ووحشتك

وأنت تجاس وحيداً وحزيناً

ربما يدخل الأمل إلى قلبك

ولو للحظات

دمشق **20.12.1994**

دمشق 16.2.1995

ستوقظكِ عتمة البيت

وسترين كل شيء

وقتها سأكون معكِ

في كل مكان من العتمة

ولن تستطيعي لمسي

شعركِ صار أطول

وذنوبي أيضاً

لأنك جميلة معي ودوني

موحش ترددي

موحشة أيامي السوداء

وهي تغيّبُ ألوانك الزاهية

أعطيكِ مرضي وتسكعي

وجيوبي الخاوية

ويأخذ سواكِ صحتي

ونضارة الأيام والمرح

كم كنتُ حزيناً معكِ فأحببتني

وكم كنتِ ستحبين مرحي

دمشق 16.2.1995

روحي رقيقة وهشة

لا تحتمل أخطاء هذا الجسد

ولا فظاظة الآخرين

لو أموت .. فأرتاح

ولكن روحي ستئن تحت وطأة أرواح الآخرين

دمشق **3.7.1995**

ألن أبقى للحظة وحدي

ألن أجلس لساعات دون أن أنتظر أحداً

ألن يتوقف قلبي عن المشاعر

كي أستريح

كي أستمتع بصوت طرقاتكِ على الباب

وأنا أعرف أن لا رغبة لي بالنهوض لأفتح

دمشق **23.7.1995**

لم يعد هناك ما له ضرروة

ثيابي متسخة

ودفاتري مليئة

كل شيء ركام

البُزق في الزاوية بلا أوتار

وامرأتي بلا مشاعر

دمشق **24.7.1995**

يأسي عليكِ

هو يأسي منكِ

وضجري ووحشتي

قلبي الذي يتألم عليكِ

ويحرسكِ من الشر

ويحمي روحكِ من كراهيتي

تمشي عقارب الساعة على عنقي

بطيئةً وحادة

بلا كيان

بلا هواء

بلا أم كل صباح

بلا أب وإخوة على الغداء

وحيداً أمام مرآة مكسرة

هذا الاستيقاظ المبكر

والماء البارد على الوجه

والعطور على الجسد تمضي سدى

لأنك لا تأتين

أُقتَلُ بيدٍ باردة ومظلمة

ولكن

عندما أسمع صوت خطواتكِ على الدرج

أحبكِ

أحبكِ واقول:

يا الله كم تحبيني

كيف قطعت كل هذه المسافة

من أجلي

دمشق **26.7.1995**

امنحيني بعض الوقت

إذا كنتِ ستمضين

بعض الوقت

كي ألمّ أوراقي كلها من حياتكِ

كي أعرف الفرق بين ألم الخيبة وألم الحب

بعض الوقت

لأتذكر أصدقائي الذين نسيتهم وأنا معكِ

أو لأردَّ على رسالة منسية على طاولتي

لأعرف إذا كنتُ سأبقى وحيداً حقاً

وفي أي مكان

بعض الوقت

كي أعرف الوقت الذي أحببتكِ فيه

والذي كرهتكِ فيه

والذي بلا مشاعر

بعض الوقت

كي تكون النهاية حاسمة

لا يخالطها الألم عند ارتياد مكانٍ كنا فيه معاً

ذات يوم

أو عند اللقاء بصديق مشترك

عند صورةٍ لوجهكِ على كتفي

أو قطعة من زينتكِ منسية في حقيبتي

واخرجي بعدها من حياتي

كما دخلتها

بعناد وإصرار

ولكن امنحيني بعض الوقت

لأجد مشجباً واحداً

أعلّق عليه ثيابي آخر الليل

دون أن أشمَّ فيه رائحة ثيابكِ

دمشق 7.8.1995

وحوش العاطفة

إلى شيرين

الطبعة الأولى - دار كنعان 2000

وحوش العاطفة

لا تطلبْ قلماً من أحد

ولا تطلب ورقة

اكتبْ على كفّكَ

على وجه صديقتكَ

على الجدارْ

على بنطال امرأة بجانبكَ

اكتب على أي شيء

كأنما الصينيون لم يخترعوا الورقْ

مرمر **2000.10.6**

لم تعد هناك فائدة

ترجى من هذا القلب

فهو لم يعد يشعر بالحزن

ولا بالفرح

لم يعد يدق بقوة

من أجل حب مفاجئ

ولم يعد يخمد وينطفئ

عند كل خيبة

لا فائدة ترجى من هذا القلب،

سوى أنه يضخُّ الدماء

إلى هذا الجسد البائس

الذي لا يريد أن يعيش

مرمر **1998.11.23**

❖ ما بقدر اشوفك، ما رح أقدر أتحمل حالي، كل ما شفتك رح احبّك.. وأنا ما بدي احبك.

- كنت مفكر أنو حتى إذا ما شفتيني رح تضلي تحبيني.

❖ أنا دايماً بحبك لدرجة نسيت فيها شكلك، شعرك وعيونك وتمك، نسيت كل شي فيك وما عدت أتذكر غير أني بحبك، وحاسة أنو لازم أعطيك كل شي مع أني بعرف منيح أنو ما رح يكفي، أي شي بقدملك اياه بيضل صغير قدامك، ومشان هيك ما بدي احبّك، وما بدي اشوفك لأني كلما بشوفك بتذكر هالشي وبكره حالي، وكمان بكره أتذكر أنو ألك شكل، أنت شي ما لازم يكون أله شكل، شي بحبه كتير كتير وما بعرف شو هوه.. خايفة كتير أعرفه، شي بيخصني ألي وحدي، أساساً ما بيخصك.

- بحبك.. ومشان هيك بطلَع مع كل رفقاتك وبعمل أي شي مشان ما يخلّوك تطلع معنا، ما بحب اشوفك مع رفقاتك ولا بالمشاوير، وما بحب اشوفك بين الناس وأنا بعرف أنو محلك هوه لحالك، ما بحب اشوفك عم تضحك وأنا بعرف أنك ما عم تضحك ولا رح تضحك طول عمرك، ما بحب اشوفك عايش متلك متل بقية الناس لأني بعرف منيح أنك من زمان متت.

- أنت بتفكري أنو كل الناس اللي جواهم نضيف لازم يكونوا ميتين، بس أنا ما بحب اموت.. بحب اعيش بالطول وبالعرض ولآخر

نفس.. ومستغرب كيف شايفتيني ميت؟!..

❖ غريب.. وقت اللي بدك ما تفهم علي ما بتفهم، أنا طول الوقت بفكرك ميّت، يعني ما قدرت ولا مرة اقول أنك غلطت غلطة أو أنك عملت شي مو منيح، دايماً أنت منيح وأنا متأكدة أنك رح تضل هيك طول عمرك، يعني ما رح تغلط أبداً .. وهادا الشي ما بيعملوه غير الميتين.

ـ ما عاد ألي نفس أطّلع بالمراية، وما عاد بدي أكتب مشان ما اشوف إيدي، وما عاد بدي أعمل شي غير أني أرفع راسي لفوق لفوق وأطّلع بالسما مشان ما اشوف حالي.

❖ هيك رح تشوف حالك منيح.

مرمر **1998.9.22**

في شي كبير كتير.. متل حمار عم يمشي بشارع ضيق، وهلأ أنا حاسيس أنو لازم أعمل شي، يعني متل أنو أكرهِك، بس ما عم أقدر أعمل شي، وأنت مفكرة حالك قوية وبتعرفي شو بدك، وأنا ما بيموتني غير اللي بيعرفوا شو بدهم.. شو بدِّك؟! كنت مفكر حالي عم ألعب، وبعدين صرت راكض ورا شي ما بعرفه، وكمان عم افكر ـ مع أني ما بطيقك وأنتِ وعم بتفكري ـ عم افكّر أرفس كل شي، يعني نحنا كم مرة بنعيش؟!..

وبتعرفي ليش بنعيش؟!..

مشان نكسر حالنا.. لأنو ما بيصير نكسر الناس اللي حوالينا..

أنا ما ألي بلد ومالي أخ.. يعني وحيد.. اللي ما أله حدا..

وأنا ما ألي غير روحي اللي بتعلقني بشخص مع أني بحسه دايماً أنو مو ألي، وهوه من قد مو حمار كمان بيحس حاله مو لألي.

عم أتطلع على بنت هون وعم تتطالع فيّ

عم افكر أديشها سخيفة وأديشني سخيف

ليش مين في غيرك أقدر اطلع فيه طول عمري بدون ما أشبع، وأنتِ

أنتِ خايفة أنو أشبع..

لاتيرنا 1998.9.21

ربما لأنك تشبهين فتى أزعر

يقف مستنداً إلى جدار

ويدخن بوقاحة

أتركك وأتذكر

كيف كنتُ فتى أزعر

يقف مستنداً إلى جدار

ويدخن بوقاحة

ولكن.. منذ زمن بعيد

الرواق **1998.9.19**

أفكر

لو أن الشتاء يأتي بسرعة

لضممتك إلي ومشينا

تحت خيوط المطر

وفي الشتاء

أفكر

لو أن الصيف يأتي بسرعة

كي نمشي معاً في ليلة مقمرة

وأعانقكِ

الرواق **1998.9.19**

لا يوجد أي مكان

يليق بما سأقوله لكِ

غيرنا أمكنة كثيرة

ولكني لم أستطع أن أفعل شيئاً

ولم تستطع يدي الراجفة أن تلمسكِ

الرواق **1998.9.19**

تحت سماء غريبة

ذلك المساء

وكان الدم في عروقي يؤلمني

فكرتُ أن أمسك يدكِ

ولم أفعل

ثم وعدتكِ في اليوم التالي

ولم آتِ

لأنني .. ببساطة.. أحببتكِ..

الرواق **1998.9.19**

ـ بس إنتِ بتشوفيني كئيب، ويمكن أنا هيك.. معِك.

ليش لما بقعد مع غيرِك بصير بحكي شي بيضحّك وبسبع ناس كتير وبحكي بالمسرح والشعر والسينما ، بس معك بحس أنو ما عم أقدر أحكي عن كل هـ الأشيا، بحسّ حالي قاعد مع حالي وساعتها إذا حكيت بحكي عن شي كئيب، وإذا ما حكيت بتقري على وجهي الحزن والكآبة، أنا هيك بكون مع حالي، وأنتِ ما بحسّكْ غير حالي.

بتعرفي؟!.. وقت اللي بكون قاعد مع الناس وعم أضحك وأحكي و فجأة بتدخلي أنتِ.. بكتئب.. بحس أنو في حدا بيعرفني منيح.. بيعرف حقيقتي، مشان هيك بكتئب.. بخاف أطلع قدامه كذاب.

❖ وأنا شو ذنبي؟!..

ليش لاكون حالَكْ؟!..

أنا بدي اكون معك أنا.. مو أنت.. بدي أضحك وألعب وأتسلى، بدي احسّ أني مبسوطة.

ـ بس أنت مو هيك؟!.

❖ أنا هيك، ليش مفكر حالك بتعرفني أكتر مني، أنا بدي واحد بيشبه أول سطح فيني.. أول خط فيني.. أول درجة.. مو أنت.. أنت.... صرتْ جوّه.. تحت.. قاعد على آخر درجة وما في قوة بتقدر تطالعك لأنك بتشبهها.. بتشبه أغمق شي جواتي.. ما عرفته ألاّ وقت اللي عرفتك، وأنا ـ واسمح لي اقلّك ـ حبيبي.. ما بدي، بدي واحد بيشبه أول خط فيني وأول

درجة.. وما رح أزعل إذا قلت عنه تافه، لأني أنا هيك .. أنا ما بدّي اعيش غير بالسطح اللي عندي.. ما بدي أغطس لجوّه.. بدي اضل فايشه.

- هيك بدِّكْ؟!..

❖ بصراحة؟

- إي بصراحة

❖ ......

- ليش عم تبكي؟!..

❖ .. ما في شي.. عم أبكي لأني هيك بدي.. وبصراحة.

مرمر 1998.9.22

أكتبُ شيئاً ما

عن امرأة قابلتُها البارحة

أكتبُ وقد فرحتُ لأنني نسيتكِ

أكتبُ وأنا أتجاهلُ

أن هذا القلم اللعين

لن يكتب عن سواكِ

مرمر **1998.10.11**

أنتظركِ

في ذات المكان

ربما تأتين

أجلسُ وظهري للباب

كي ألتفتَ كلما دخل أحدهم

أجلس هكذا عمداً

كي أكرهكِ لحظة

وأنا أحس بأن رقبتي بدأت تؤلمني بسببكِ

مرمر **1998.10.10**

إنني نادم

دائماً

كل يوم

كلما تذكرتُ البارحة

مرمر **1998.10.11**

❖ المشكلة أني ما بدي أحكي، لأني بحس أنو كلامي طالع من شخص غلط وبيقول أفكار غلط، ومشان هيك أنت مرتاح أكتر مني لأنك بتعرف تحكي، بتعرف تقول الشي اللي جواتك وبتنقله للي قدامك كأنك عايش بقلبه، ومع هيك رح أحكي لك شي ما كنت عم أعرف اقوله من قبل بس هلأ صرت متأكدة أني رح أعرف اقوله.

أنت ما بدك اياني اكون تافهة، بدك اياني اكون ظريفة ومنيحة وبفهم، ببساطة بدك اياني اكون متلك.. وأنت أكبر مني بخمسة عشر سنة، وأنت عجبتني كتير.. مو بس عجبتني.. لأ.. حبيتك كتير.. مو هيك كمان.. بحبك كتير.. بموت فيك.. وبعرف أنك بتحبني وبتموت فيني.. وبعرف ليش.. لأنك بتشوف حالك فيني وقت اللي كنت قدي، مو لها السبب حبيتني.. لأ.. بسبب الحب صرت تشوفني هيك، وأنا رح اقلك أني أنا كمان بشوف حالي ومستقبلي فيك، بحس حالي أني بعد خمسة عشر سنة رح أكون متلك، بس إذا ضليت عم اشوفك رح اصير متلك من هلأ، يعني بدك تضيّع خمسة عشر سنة من عمري.. ما بدي اشوفَكْ.

- لا تجنّي.

❖ أنت لا تجنّ، شو كنت قبل خمسة عشر سنة، شو عملت بهديك الفترة، سافرت ورجعت وسافرت، ورجعت، حبيت وفشلت وعملت مية قصة وقصة، عشت حياتك بالطول والعرض، نمت مع بنات كتير وحبيت بنات كتير وتجوزت وطلعت ورجعت تجوزت وصار عندك

اولاد ، وسهرت وسكرت وضحكت ولعبت وحزنت وتعذبت وتألمت ودرست وبطلت ورجعت درست، ورجعت بطلت واشتغلت وكتبت، عملت كل شي خطر على بالك.

وهلأ.. كبرت شوي.. صار عمرك تلاتة وتلاتين سنة ، هديت وصرت تحب بعمق.. بعمق كتير.. بدون طيش.. بدون تهور.. وصرت إنساني وشفاف وبتاخذ العقل.. عرفت بقى شو بدي؟!

- شو؟!

❖ بدي اعيش..

ما بدي اصير متلك من هلأ

بدي اجنّ

بدي احبّ بدي أعشق، بدي أنجح ،بدي أفشل، بدّي احبّ واحد كلب واطي ما يحبني ، بدي احبّ واحد شفاف ورومانسي.. بدي أكتب رسائل.. وأسهر بالليل وأبكي، بدي أهرب مع شاب يومين تلاته، بدي أضحك وألعب، بدي أوصل على التلاته والتلاتين من عمري لحالي.. بعد ما اكون عملت كل شي لحالي.. بعد ما اكون عشت.

- ....

❖ لا تبكي.

مرمر **1998.9.22**

بين خيوط المطر

وأمام الرياح الباردة

سأظل أتذكر

وبندم لا يوصف

أنكِ خرجتِ من المنزل

بثياب خفيفة جداً

لاتيرنا **1998.10.12**

كل من يدخل الآن

شاب وفتاة

بملامح غير مُحبة

ومشاعر ميتة

ربما لهذا

لم ندخل إلى مكانٍ.. معاً..

لاتيرنا **1998.10.12**

أحبكَ

ولكن لا أستطيع أن أراك

أحبكَ

ولكني لا أريد أن تزعل أمي

أنت تعرف.. إنها أمي

أحبكَ.. أحبكَ

ولكن أرجوك لا تكلمني هاتفياً

لاتيرنا **1998.10.12**

❖ مين هي اللي سلّمت؟

- وحدة بعرفها من زمان.. من زمان كتير..

❖ شكلها شـ....

- ما كانت هيك..بسببي صارت هيك

❖ أنت؟.. مستحيل

أنت ملاك

- أنا ملاك؟! مين حط براسك هالحكي..

.. مين حطّ ببالِك أني منيح؟!

❖ لا تلف وتدور، أنت منيح، أنت أحسن واحد بشوفه بحياتي، أنت، كتير نضيف، ومشان هيك ما بدي اياك، ما بدي اشوفك.

- رجعنا على هالقصة؟..

أنا تاريخ حياتي رزالة وبهدلة ، مين قالك أني منيح؟! رح انادي لها تقعد معنا.. معليش؟!.

❖ معـ.. معليش

- تغير لونِك

❖ لأ.. عم اقلّكْ معليش.

لاتيرنا **1998.10.2**

كل الطيور التي أحببتُها

هوَتْ

وكان صوت ارتطامها بالأرض يقتلني

إلهي.. لا تجعلني طيراً

لا تجعلني من يعلو عن الأرض

وهو يعرف بأنه يوماً ما.. سيقعْ

مرمر **1998.10.14**

- كيفِك؟!

❖ منيحة.. أنت كيفَك؟

- منيح.. بعرّفِك على رفيقتي الجديدة

❖ دايماً عندك رفيقة جديدة، بحياتي ما شفت معَك وحدة طوّلت كم شهر

- ها ها..

❖ بتعرِف أني كنت ملاك، كنت بنت صغيرة وبريئة، وتعرفت على هاد الشخص اللي قاعد معنا، هاد الشيطان، حبيته.. وبعدين تركني.. فجأة وبدون أي سبب، زعلت.. تأثرت، وتحولت لوحدة تانية بسببه، وحدة متل مالك شايفتيني هلأ.

- هادا؟!

❖ إي هاد.. ليش مستغربة؟!..

باي..

- باي..

شفتِ؟!

يمكن ما في أحقر مني بالعالم.. بكره حالي.

❖ يا ريت أقدر أكرهك، إذا كان في مشكلة عندي فهي أني شايفة أكتر شي حلو فيك وأكتر شي نضيف، بس مو هون المشكلة، المشكلة أني متأكدة أنو أنت بس هيك، أكتر شي حلو وأكتر شي نضيف.. وأكتر شي لازم ابعّد عنّه.

لاتيرنا 1998.10.2

كي أشتاق إليك

ابتعدْ أرجوك

أطول وقت ممكن

كي أشتاق أكثر

ابتعدْ إلى الأبد

ولكن أرجوك أن تموت قريباً مني

كي أراك وأنت مسجى

وأحسّ بأنني.. طيلة عمري

كنت مجرد شخص يشتاقُ إليك

مرمر **1998.10.15**

إننا نحبك

فأنتَ ابننا الوحيد

طبعاً نحبك

ولكننا لا نملك النقود

كي نرسلها إليك

إننا نحبك أكثر من أي شيء على الأرض

أرسل لنا بعض النقود

نحن لسنا بحاجة طبعاً

ولكن فقط لنتأكد بأنك أيضاً تبادلنا الحب

مرمر **1998.10.15**

هناك خمسة سطور تبقّت

على هذه الورقة

أفكر بقصيدة من هذا القياس

خمسة سطور كاملة

ضيعتها وأنا أفكر بمَ سأكتب

مرمر **1998.10.15**

كنت بحاجة لأسألَكْ عن هاد الشي اللي كتير بيشبهكْ

وبعد ما رحتْ وتركتني وحدي.. شفتُه

كتير بيشبهك.. روحه متل روحك

مشان هيك حسيته ميّت متلك

وخفت أني اضلّ عم احبّه وبعدين ما اشوفه قدامي

كتير هلأ بحاجة لألَكْ وبحاجة لألُه

بحاجة لألُه لأنو بيشبهكْ

وبحاجة لألَكْ مشان تخلّصني منّه

لاتيرنا **1998.10.9**

في تلك الأروقة

دائماً

كان بيني وبينك نقطة بيضاء أيها الليل

تعال

دون مصابيحكَ

دون شمع

تعال أيها الليل

بكل سوادك

دون بصيص أمل

مرمر **1998.10.10**

ليكن أن ما كان بيننا

مجرد هوى

ولكن..

أما كان يستحق منكِ

ولو لحظة تذكّر

ولو إرتعاشة ارتباك عند اللقاء بي

مرمر **1988.10.25**

في بارٍ لا يشبه أيامنا

التقينا.. وتحدثنا كثيراً

بحماس.. كما لو أننا نلتقي لأول مرة

في ذات البار

بعد زمن

التقينا

لم نحيّ بعضنا البعض

ولم نتبادل النظرات أو نتحدث

كما لو أننا نلتقي لأول مرة

مرمر **1998.10.30**

كل ما بيرنّ التليفون

بقول: هادا أنتِ

برفع السماعة، طبعاً مو أنتِ

رح كسّر هالتليفون

أساساً.. شو شغلته

إذا ما كان صوتِكْ هوّه اللي عم يصلني منّه

لاتيرنا 1998.11.3

كلما بيرن التليفون

بقول: هادا أنت.. رح أسمع صوتَك

برفع السماعة.. طبعاً مو أنت

برتاح كتير وبقول لحالي:

كمان هالمخابرة مرقت على خير

لاتيرنا **1998.11.3**

على كل الأحجار

سأرى حروف اسمكِ

وعلى كل الوجوه

سأرى ملامحكِ

بعدكِ

سأحب الجدران والأشجار وإشارات المرور

بعدكِ

سأحب أي شيء

لا يخفقُ له قلبٌ

وساعة يشاءُ

يتوقف عن الخفقانْ

مرمر **1998.11.25**

إلى عبد المنعم عمايري

تحت شجرة الورد

سأدمي أصابعي

وأنا أقطف الورد لكِ

تحت شجرة الورد

سألمُّ باقة كبيرة

وأرميها أمام باب بيتكِ.. الخالي

مرمر1999.1.3

هذا الشتاء

بلا مطر

أو ثلوج

مجرد شمس باردة

وصقيع في الليل

هذا الشتاء

أيضا.. دونكِ

مرمر**1999.1.3**

دائماً هناك من يقتلني
ودائماً للأسف
لا يكون أنتِ

مرمر **1999.12.13**

سأبقى كعادتي

أكتبُ القصائد عنكِ

وسوف تسرني آهات إعجاب الآخرين

سأبقى كعادتي

رغم أنني أعرف

أنك لا تذكرين حرفاً واحداً منها

مرمر **1998.12.12**

كانت جنبَكْ، وكنت أنا بجنب واحد تاني، كنت معانقها والظاهر أنك كتير كنت عم تحبها..

ما حكيت معَك شي، بس أنت كل الوقت كنت عم تبهدل اللي قاعد جنبي، وأنا كنت عم ارد عليك، وكنت تقل لي (لا تدافعي عنه)

.

ليش أنا كنت عم ادافع عنّه؟!
يا مجنون أنا كنت عم ادافع عن حالي..
وغير هيك.. كنت عم ادافع عنّك..

مرمر 1998.11.1

كنت عم اتطلع عليك وأنت عم تلعب بشعرها ، كلهم حسوا أني متضايقة من عداك، كلهم كانوا عم بيفكروا أديش بتحبها.. ألاّ أنا.. كنت بعرف منيح أنك بتحبني.. أنا..

مرمر **1998.11.1**

كلهم بيقولوا (أنك بتحبني بس أنا ما بحبك)، وأنا ماني مضطرة أشرح لهم، أغبياء..

بيكفيني أنك وحدك بتعرف أديش بحبّك.

مرمر **1998.11.5**

بحبَّكْ

مرمر **1998.11.5**

كنا دائماً ثلاثة

أنتِ والحب وأنا

بين جدرانٍ رطبة

وتحت سقوف واطئة

وكنا دائماً نهمس

خوفاً من الذين في الخارج

كانت القبلة ممزوجة بالخوف والأسى

وكان العناق راجفاً

دائماً كنا ثلاثة

تحت سقوف واطئة

وبين جدران رطبة

أنتِ والكراهية وأنا

لاتيرنا 1998.11.6

وحيثما تمضين

سأكون خلفكِ

حارسكِ

بقية الحب التي تحمي نقاط ضعفكِ

لاتيرنا **1998.11.6**

في كل مكان
وخلف كل الستائر
ستجدينني
تمثالاً من الألم والخيبة
حجراً حزيناً من كثرة الإهمال

لاتيرنا **1998.11.6**

ما فيني أطلَع معَك لحالنا

خلّي حدا يطلع معنا..

أي حدا

لاتيرنا 1998.11.5

❖ كيف شايفه؟!.. حلو؟!

ـ حلو كتير

❖ وطي صوتَك.

وبرأيك رح يكون منيح معي؟

ـ أحسن مني

❖ بدي أطلب منك طلب

ـ اطلبي

❖ رح تعمل لي هالشي؟!

ـ طبعاً

❖ ما كنت شاكة أبداً.. عرفت شو بدي؟

ـ عرفت .. بس تروحوا أنت ورفيقتك رح أحكي معه.. رح اقلّه يضل..

بتحبّيه؟!..

ـ معجبة فيه.. عاجبني.. وهوّه كمان معجب فيني.. هيت سمعت

ـ هلأ رح احاكيه

❖ بسرعة الله يخليك.. بس لا تقل له أني طلبت منك هالشي..

ـ ما رح اقول

لاتيرنا **1998.11.8**

على هذا الكرسي

كانت تجلسُ

أيها الشاب الذي يراقبني باستغراب

على هذا الكرسي كانت.

وكنتُ أعانقها وأمرّ بيدي على شعرها

وأحياناً أقبّلها

أيها الشاب المندهش

على هذا الكرسي

الذي تجلسُ عليه الآن

دون أن تنتابكَ أية مشاعر

مرمر **1998.11.11**

التفتي نحوي بارتباك

دونما تحية

تجاهليني إذا شئت

مري بجانبي هادئة

كأنك لا تنتبهين لوجودي

ولكن لا تصافحيني كما تصافحين أي غريب

مرمر **1998.11.13**

ابتعد عني يا داء الشفقة

كلما رأيتُ من أثقلت الحياة عليه

ومن أكلت من روحه بهائم الأرض

ابتعد عني يا داء الشفقة

ولا تُدخل الحزن إلى قلبي

دعني حراً منك

والآن

أمام المرآة

أرجوك

ابتعد عني يا داء الشفقة اللعين

مرمر **1999.1.1**

- بتحبها؟!..

❖ معجب فيها

- شو بدك تعمل؟

❖ ولا شي

- ليش؟!..

❖ لأنك رفيقي وبحبك.. ما بحب أخسرك

- ما رح تخسرني.. ليش حبيتها؟!..

❖ من حكيَك عنها.. أنا ما بعرفها.. أنت كنت تحكي لي عنها كل يوم

- وايمتى تعرفت عليها؟

❖ من كام يوم.. وقلت لها أني بعرفها منيح.. قام عرفت أني رفيقك كتير

- بس أنت بتحبها؟

- لأ.. معجب فيها.. بعدين حتى لو كنت بحبّها.. أنت السبب.. أنت خليتني احبّها

- ليكها أجِتْ.. اعتبر الموضوع صدفة

❖ صدفة؟! ليش بدّك تحرجني.. أنا رايح

- اقعد.. لازم تقعد

❖ بدي اروح

- مسا الخير

❖ مسا الخير.. اقعدوا.

مرمر **1998.11.13**

كل حياتي قصائد مكتوبة بسرعة
لذلك فإنني أشطبها دائماً
فيما بعد

1998.11.25 لاتيرنا

ها هي معكَ الآن

وأنتَ تخاف أن أكرهَك

ولكن كيف؟!..

لقد فزتُ بالراحة

وأورثتكَ الألم

لاتيرنا 1998.11.25

عم تهربي مني

ليش أنا ما عم أهرب منِّك

مفكرة إذا كنت عم اتلفن لك كل يوم، وكل يوم عم اقلّك بدي اشوفك وانتِ عم تتهربي بكون ما عم اهرب منك أنا كمان؟!

بعرف منيح أنك بتحبيني كتير مع أنك قلتِ لي ما بطيقَك، ومرة سكّرتِ التليفون بوجهي، بس فكرِك إذا شفتك شو رح يصير؟

رح احسّ أني عم أهرب منّك متل ما عم تهربي مني، شي طبيعي الناس تهرب من شي كتير كتير مو طبيعي.

مرمر **1998.11.7**

لا تمضِ بسرعة يا صديقي

ولا تخَف إن زلَّ لسانكَ

بكلمة حب عنها

لا تمض أبداً

فأنا أحبكَ كثيراً

وأنت تتحدث بلهفة عن مزاياها

التي نسيتَ بأنني حدَّثتك مراراً عنها

مرمر **1998.11.26**

كلهم عم بيلوموني.. وأنتِ كمان، لأني بحب لآخر نَفَس وبكره لآخر نفَس قال هادا هوه الإنتحار، ليش كيف بتكون الحياة إذا ما عشناها لآخر نفَس؟

قال عم يزعلوا عليّ.. ليش أنا مو زعلان عليهم، صحيح رح اموت قبلهم بعشرين سنة، بس رح اكون عشتْ، وهنين بس يموتوا رح يحسوا أنو العشرين سنة زيادة اللي عاشوها كانت زبالة العمر، وأنو العمر اللي قبله ضيعوه وهنين عم بيفكروا فيه.

مرمر **1998.11.27**

قبل شهور عدة

كنت تدخلين

تحيينه وتطلبين منه أن يبحث عني

والآن

تدخلين إلى ذات المكان

تحييني

وتطلبين مني البحث عنه

ولكن .. بسرعة

مرمر **1998.11.25**

أيها الصديق الذي كنت أحكي له

عن التي أحب

وكان يبكي مراراً وهو يستمع

أيها الصديق الذي كان يرفع معي كأس من أحب

وكنت أحدثه وفي صدري ألم لا يطاق

أيها الصديق الذي بعد كل هذا

أحبَّ من كنتُ أحب

أيها الصديق الذي يأتي اليوم

ويحدثني عنها

وفي صدره ألم لا يطاق

مرمر **1998.11.25**

محتاج لألِك، لإيدِكْ وهي و مو ساٸلة عن مخك، إيدِكْ وهي و عم تتمدّ لشعري غصباً عنِّكْ، وتمّكْ الراكض على شفايفي غصباً عن أمّكْ .

مرمر **1998.11.4**

مـا رح أزعـل إذا حبـيتي غـيري، بـس لازم تعـرفي أنـو رح اخـاف عليكِ، رح اخاف أنو ما يحبك قد ما أنا بحبك

مرمر **1998.11.24**

تحت سقف واطئ

كنا ثلاثة

أنتِ وهو .. وأنا

كان يتمسك بي أن أبقى

وكنتُ أعرف أنكِ تريدين مني المضي

كنتُ أعرف بأنكِ تحبينه

وكان يعرف بأن حبي لكِ

أرسخ من صخور عاشت مئات السنين

نظر إلي وقال: بأنه لا يحبكِ

ولا يريدكِ

كنت تبكين

وكنت أتفتتُ

مثل صخور تئن تحت المطارق

منذ مئات السنين

مرمر **1998.11.22**

ربما أكسرَكَ يا زجاج المقاهي

وأكسر ما يمر خلفكَ من بشرٍ وسيارات

ربما أُدخلُ ساعدي وأدميه

كي يحظى بلحظة حرية في هواء الشارع

وفي آخر الليل

خلف نافذة منزلي الموحش

أحنّ إليك

أحنّ بشدة

يا زجاج المقاهي اللعين

مرمر 1998.11.26

هؤلاء الذين

يجلسون في المقاهي وحيدين

فيرضون

ثم يحومون ليلاً في البارات

وهم يبحثون عن نديم

ولا يجدون

فيعودون إلى منازلهم وحيدين

ويناموت على أسرة لم تعرف أحداً غيرهم

منذ زمن بعيد

مرمر 1999.1.29

أحبكِ

وتحبين خصمي

أصافحهُ

فيضغطُ على كفي منتصراً

أصافحهُ

أنا الفريق الخاسرُ

وعلى وجهي ابتسامة

تنتصر على ابتسامتِه

مرمر **1999.2.11**

وعندما أكون وحيداً

بلا صديق

أو امرأة

أشعر بحزن عينيّ

ولكنني أبقى راضياً

لأن كل من يراني

يعتقد بأنني أريد أن أبقى وحيداً

هذه الليلة

مرمر **1999.2.13**

لم يكن هناك من يشبهكَ

سوى أعماقي المحطمة

ولم يكن هناك ما يوازي ملامح وجهكَ

سوى قصائدي المكتوبة بسرعة

لذلك لم أحزن عندما أحببتك أنت

لأنني أريد أن أعتقد

أنها أحبتك.. لأجل ذلك

مرمر 1998.11.24

رجل أعزل

في هذا الضجيج

من أنتَ كي ترمي السلام

من أنتَ كي تعانق روحي الخائبة

في هذا الزحام

أعد لي صخب الماضي

ولا تعنّي

لا تساعد عظامي المكسورة

ولا تنفخ في ذبول روحي

من أنتَ كي تدافع عن وجودي

دعني ألمسُ وحشة المشهد أمامي

من أنتَ كي تمسح بكائي

وكفٌّ من هذه التي تربتُ على كتفي

أي ضجرٍ هذا وأنا أرمم ثقوبه

وأي خراب أحيله إلى مدينة وناس

كم أنا غريب فوق هذه الأنقاض

خُذ غبطة الأيام

خُذ بسمات الأصابع

ومصافحات المودة

خذ عني ماء السعادة الأولى

وضحكات الطفل الذي كنت

والحروف الأولى.. والحليب الأول

وامنحني ضجيج المصافحة الحقة

وضغط الكف على الكف

وقبلة المودة والعناق

خذ قلق الصبا

ورحلة الألق في هذا العمر الضيق

لحظات الفرح وضجيج الأيام

وامنحني لحظة الحقيقة التي يخالطها الألم

وتودي بي إلى السكينة البيضاء

سكون النفس تحت تراب الخلود

كم أنا رماد فوق هذه الأنقاض

رواق **1997.3.1**

دائماً كنتُ ألهثُ خلفك

ثم أستحوذ عليك

ثم كنتُ أضيعكَ

وكنت جميلاً دائماً

ولكنكَ كنت أجمل

كلما كنتُ أضيّعكَ

أيها الحب

الرواق **1996.12.30**

في مطعم بائس

أنا وصديقي الشاعري اليائس

طلبتُ كأس ماء من النادل

فأتى وقال: وهذا كأس ماء من أجل الحرية، ثم جاء آخر وقال:
من أجل عيون الحرية اطلب ما تشاء.

وحدثني نادل عجوز بأسى: إننا هنا جميعاً نحب الحرية.

خرجنا أنا وصديقي الشاعري المذهول

والمعبأ بأمل وبحلم رومانسي

خرجنا وأنا أفكر

أن كل العاملين في هذا المطعم وبالصدفة

يشجعون فريق الحرية لكرة القدم

لاتيرنا **1998.10.21**

إنه يوم آخر يمضي
في غمرة الكراهية
ستمضي كل الأيام
وسيمضي يوم الحب أيضاً
وسأبقى أتذكر
أن علم الحب الذي غرسته على صدركِ
حرَّكتهُ رياحُ سواي

الرواق **1998.2.14**

ليس هناك ما يشفي الغليل

الحجر رخو تحت قدمي.. وحدي

وأنت قلقة

ربما مني وليس عليّ

أعود وفمي يدندن بأغنية تحبينها

وأعرف أنك ستسألين وتغضبين لغيابي

وأعلم أيضاً

أن الحقيقة ليست سوى عذراً باهتاً .. دائماً

الرواق **1996.2.23**

إلى رامي ملوحي

صديقنا الجلف وأنتِ
نحدثكِ عن روسيا والعالم
وصديقنا مشغول مع أناس تافهين
صديقنا السوقي
فنحكي معك عن بوشكين ورامبو وبولغاكوف بينما ينغمس بملذاته وهو يستمع إلى جورج وسوف
صديقنا البليد
فنراقصكِ
ونتحدى بك الراقصين الآخرين
صديقنا الذي نحب
ونكافح من أجل أن تظلي كما أنتِ
تحبينه.. وهو جلف وسوقي وبليد

1999.5.30

ليتكِ كنتِ بجانبي الآن
مثل المخدة واللحاف
والسلم الغبي المفضي إلى لا شيء
والباب الذي أوصدتُه بعناية
والسرير.. والسرير الآخر
في هذا القطار

ليتكِ كنت بجانبي الآن
في غرفة منامة في قطار
يعدو سعيداً في بلاد متخلفة جداً

قطار حلب - دمشق **1999.3.22**

كنا نتحاسب بشدة

على ثمن الفاتورة في المطعم آخر الليل..

دون أن نأكل اللحم

أنا وأصدقائي في حلب

وكنت أتضايق

لأنهم يطلبون مني خمس ليرات إضافية

والآن.. آتي إليهم من دمشق

نسهر.. نشرب العرق

ونأكل اللحم على غير العادة

يطلبون مني بشدة.. ألا أدفع.. لأنني ضيفهم

فأفرح

ثم يتحاسبون بعد ذلك بشدة

في المطعم.. آخر الليل

قطار حلب ـ دمشق **1999.3.22**

وآنا مرتبك أمامك

مرتبك جداً

كجندي يرتدي لباسه العسكري

للمرة الأولى

دمر **1988**

وإنني أمامكِ الآن

للوهلة الأولى

مثل ملاكم أشقر

وقع بين براثن

ملاكم زنجي

1999.4.20

كيف تستطيع أيها الحقير

أن تقف خاشعاً

بجانب امرأة لا تحبها

في كنيسة قديمة

يوم الأحد

دمشق **1999.4.13**

لماذا

أقنعتِ من تحبين

بأنك ما أحببتني يوماً

لماذا علي دائماً

أن أراقب وجهه المذهول

كلما ذكرتُ قصة

فيها .. ولو قليلٌ

من الحب .. ما بيننا

مرمر 1999.5.25

إنني مثلك أيها اللّه

الجميع يحبونك

ويخافونكَ

ويخشعون عند ذكر اسمك

ولكنهم.. بكل بساطة

يرتكبون بحقكَ كل الآثام

دمشق **1999.8.13**

إلى ابنتي

يصرخ الصغار

خوفاً من الطبيب

يبكون

يقاومون أمهاتهم وهنّ ينزعن عنهم الثياب

وقبل ذلك في غرفة الانتظار

يتبخترون كجنرالات

وأوسمتهم قلوب ذهب

ومصاحف.. وخرزات زرقاء

في هذا البرد

والمطر يهطل بشدة

أركضُ

ليس هرباً من المطر

وإنما كي أرى خديك الورديين

وأسنانكِ التي بزغت للتو

وفي غمرة لهاثي

أسرقُ نظرة إلى شرفتنا

فأرى قميصكِ الصغير

على حبل الغسيل

وهو يرتجف من البرد

انتزعتُ أشياء كثيرة

من أيد قوية وبخيلة

انتزعتُ حقوقي

من أفواه متوحشة

وخطفتُ لقمة عيشي

من مغارات الكواسر

انتزعتُ المستحيل

عندما كنت أريد ذلك

ولكنني عبثاً حاولتُ

ولم أستطع.. انتزاعَ لعبتكِ

من كفكِ الصغيرة وأنت نائمة

الرواق **1998.5.10**

حصن الكآبة

إلهي.. الضعيف مثلي

الموحش مثلي

إلهي الذي يحبني

كي يجردني من كل شيء

ويأخذ مني كل شيء

ويرمي إلى الآخرين

كل ما هو عزيز علي

إلهي الضعيف مثلي

ويحبني

فلا يترك أمامي

ولا خلفي

ولا يميني

ولا شمالي

ما يسندني

ما يجعل مني

من يسير دون أن يقعْ

إلهي الذي جعلني

أتخطى الثلاثين

دون ارتباك

ثم بعد ذلك.. أربكني

إلهي الذي أحالني عجوزاً

وروحي نضرة

إلهي الذي

كسَّر أسناني

ورمى بطعامي إليّ

إلهي الذي يحبني
فأحالني طيراً بلا جناح
وأحالني طيراً
لا يجيد الغناء

إلهي الذي يظن بأنه أحالني طيرا

إلهي الذي يحبني

الضعيف مثلي

جرَّعني عندما عطشتُ

كأس المرارة

وقال لي أن أرتوي

إلهي الضعيف مثلي

إلهي الذي يحبني

إلهي الذي ينام بجانبي

ملء جفنيه

وهو يعرف بأنني لا أنام

إلهي الذي يضع طعامي أمامي

فلا آكلُ

فيبكي قليلاً علي

ثم بنفسه يأكل طعامي

إلهي الذي يضع بثقل حبه على كتفي

فأنهار وأسقطُ.. ولا يراني

إلهي الذي

إذا ما شردتُ بغيره لحظة

.. يراني

تطير العصافير من جوفي

تطير من حصن الكآبة

إلى سمائها

وتنفض عن أجنحتها

رماد ألواني

إلهي الذي تركتني وحدي
عندما أردتُكَ
وعندما أردتُ أن أبقى لوحدي
وجدتُكَ بين أسناني

أحبكَ يا إلهي

لأنك تعيس مثلي

وهش مثلي

أحبكَ

لأنكَ.. إلهي

إلهي الذي علمني البكاء
على أسرة الوحدة
مَنْ في شتاءاته
وتحت أمطاره
سرقَ ثيابي
وأطفأ ناري
إلهي الضعيف مثلي
الذي عذبني وآلمني
وحين بردتُ ما دثَّرني

إلهي الذي جعلني أمياً
وما أوحى إليْ

بين يديكَ يا إلهي

بين كفيك المعروقتين

أنتشي وأنت تتلمسني

تخرج روحي من بين أصابعكَ

وتضيع في الهواءْ

اقتلني يا إلهي

لأنني لا أستطيع الموت

إلا بين يديك

اقتلني

كي تعود روحي من الهواء

إلى رئتيك

وفي الشام ياسمينكَ

الذي ما قطفته لسواكْ

ووردكَ

الذي ما وضعته في كأس سواكْ

وفي الشام كل الذين يحبونني

ويصمتون

لأنهم يعرفون

أنَّ قلبي لا يدقُّ لسواكْ

إلهي الضعيف مثلي

الذي كان صغيراً مثلي

حَبوْنا معاً

وشربنا الحليب معاً

تعثرنا معاً

إلهي الذي أفلح بخطوته الأولى دوني

فأغلق الباب علي وغابْ

إلهي الذي طيلة العمر

كان يبني حصن الكآبة حولي

حجراً حجراً

وعندما أغلقه عليّ تماماً

أراد أن يراني

فلم يرَ سوى الكآبة

فضجر مني وتركني وحدي

من الذي سيأخذ بيدي

من الذي سيعرف مكاني

من الذي سيكسر حصن الكآبة حولي

دون أن يكسرني

دمشق. **1998.8.13**

الأب الضال

إلى شاهي وشيرين

الطبعة الأولى - دار الفكرة 2003

أنت وهؤلاء الناس

إذا تعب الشعراء قالوا:

تعبتُ يا صاحبي

أو

يا أبي ما عادت بي طاقة للعيش

أو

لم أقدر على الدنيا يا أمي

أو

يا أخي يأسي أكبر من رغبتي بالحياة

إذا تعب الشعراء..

أما أنا.. فتعبتُ

وما عادت بي طاقة للعيش

ولم أقدر على الدنيا

ويأسي أكبر من رغبتي بالحياة

ولكن دون أيةِ كلمة تستطيع أن تسند هذه الجمل المرهَقة

دمشق **1999.8.6**

وما حمل ساعةً في معصمه
وما علّق في عنقه زرداً
وما نقش على جسده وشماً
ولكنه مشى في الشوارع المزدحمة
كعلامة فارقة

لم أخطئ

لم تخطئي

ولم يخطئ أحد

ولكن

على أحد ما في هذا العالم

أن يبدي لنا الأسف

دمشق **2001.5.19**

عندما لم تلتمعْ العيون

ولم تهتز الشفاه

عندما لم يدق القلب بعنف

ولم ترتبك الكف وهي تلمس الكف

عندما دخلتِ إلى منزلي

ولم أفكر بإغلاق الباب خلفك

أيقنت أن كل شئ قد انتهى الآن

دمشق **2001.4.16**

وأنتَ معي

لست أكثر من شخص يحبني

أحبكَ

وأنت تغفو على صدر غيري

أحنو عليك وأنت بين ساعدي سواي

أغفو في أعماقكَ

وعندما تمد شفتيكَ لفم غريب

أظهرُ

فيحمرُّ وجهكَ

وترتعد شفتاكْ

وتعود مجرد شخص يحبني

أحبكَ وأنت تحكي قصتك للغرباء

وأحميك عندما تعبر الشوارع

من اللصوص والسيارات

ومن الكف التي تمسكُ كفكَ

دمشق **1994.4.30**

هذا أنا

في المقهى

جالساً على هذا الكرسي وذاك

هذا أنا

أشرب القهوة هنا

وهنا أرتشف العصير

وهناك

أعبر بخفة خلف الزجاج

دمشق **1999.8.5**

إلى ناصر نعساني

لا تأخذنا هكذا

امنحنا فرصة أخيرة

كي نحقق وعودنا التي رميناها جزافاً للزوجات

كي نعود إلى المنزل

محملين بالخضار والحليب

امنحنا فرصة أخيرة

لدفع الإيجار

فرصة أخيرة

كي نقنع أطفالنا

أننا ذاهبون

دونما عودة

الرواق؟.؟.؟.؟؟؟؟

أنت وهؤلاء الناس

من بيده يأخذ بيدك

ومن بيده يكسر يدكْ

من تبكي على كتفه

ومن تبصق على وجهه

وأنت وهؤلاء الناس

من يشدك بقوة إليه

ومن يطردك ببرود من حياته

من يرمي بثقل آلامه عليك

ومن يعانقك

وأنت وهؤلاء الناس

من يقبّلك

وهو في قرارته يشتمك

ومن يخمشك ويشد شعرك ويصفعك

وهو في قرارته يقبلك ويعانقك

من يكسرك

وهو في أعماقه

بالعناق يكسّرك

وأنت وهؤلاء الناس

دمشق **2000.3.5**

منذ أن هربَتْ صورتي

من إطار العائلة

وابنتي تعلمت أن تكتب اسمي واسم أمها وأختها واسمها

وعندما كانت تلتفتُ

كنتُ أشطبُ اسمي

فلا تبكي ولا تصرخ

وتعود في زيارتها التالية

وهي تحمل صفحتها البيضاء.. البريئة والمشرقة

دمشق **2002.9.29**

في صورة بالأبيض و الأسود

كنت أرتطم بهم

ولا أسمع صراخهم

في صورة بالأبيض والأسود

شتموني بوقار

وانتقدوا مشيتي

اتفقوا جميعا

الأبيض منهم والأسود.. عليّ

في صورة بالأبيض والأسود

كنت أمشي إلى خارج الإطار

بألواني الطبيعية

دمشق **2002.10.3**

سأغلق النوافذ جيداً

ولن أفتح الأبواب

سأرتق شقوق الجدران

لأنني أخاف

أن يدخل الهواء الذي تتنفسون منه إلي

أنا التلميذ الذي مثل أدوار الشر

على مسرح المدرسة

ورأيتكم

وعشت معكم

وتعلمت القذارة منكم

وفنون الخسّة

أنا التلميذ الذي خرج من شوارعكم

منحطاً وسافلاً

أبحث عن جدران

أختبئ خلفها

وأبوابٍ أقفلها على نفسي

كي أعود مجرد تلميذ يمثل أدوار الشر على مسرح المدرسة

يقولون عني: وغد وسافل

وهناك من يقول: فتى منطلق كالفراشة

ومضى بي العمر

ولم أعد فتىً منطلقاً كالفراشة

بينما ولأنها صفات لا عمر لها

بقيت وغداً.. وسافلاً

أكتب بالقلم

لا بالأزرار

أقرأ الكتب

لا الشاشات

ما الفائدة من التقدم العلمي

وأصدقائي يموتون

عند أول محاولة مازحة للموت معهم


وقتٌ كافٍ

في عتمة الليالي

أنا الظل الذي سيمشي خلفكِ

وقد قتلته الظلمة

الذي في بالك

بعد أن يفنى الأصدقاء

وأوهام الحب القادم

خفقات قلبك

أنا الذي لم يعرفك جيداً

لأنه لم يجد الوقت الكافي

سوى لأن يحبكِ

أنا الشبح الذي ستخافين

أن تصدميه بسيارتك

والقتيل الواقف

بينك وبين حياتك

أنا الذي لم يستطع أن يكتب الشعر عنك
لأنه لم يجد الوقت الكافي

أنا الذي أراد أن يسقط من الشرفة لأجلك
وعدل عن ذلك أيضاً لأجلك
الذي عجز عن العطاء أمامك
لأنه لم يجد الوقت الكافي

تحت أمطار لومِكِ
وزمهرير انتقامك

أنا الشخص الذي بلا كبرياء أو لياقة
لأنه لم يجد الوقت الكافي

في أنفاسكِ
وبين أسرارِ جسدك
تحت صرخاتك وآهاتك
تعلمتُ الموت
وكنت تريدينني حياً
ولم أجد الوقت الكافي

سيكونون لك جميعاً

أصدقائي وأيامي الباقية

وسأكون وحيداً

دونكِ ودونهم

وفي نهاية الليل

مع صوت غربان الصباح

أنامُ دون أن أفكر بك

لأنني لم أجد الوقت الكافي

دمشق **2002.7.29**

أحدٌ سواي

نفسي.. من أرى في المرآة
وإذا وقعتُ من طابقٍ عالٍ
لن يخاف علي أحدٌ سواي
وإذا سقطتُ..
فلن يلتقطني.. سواي
وإذا ملتُ ستسندني نفسي
وإذا بكيتُ ستمسحُ نفسي دموعي
ولن يبكي - علي بعد ذلك - سوايْ

لأنني إذا دخلتُ في سباقٍ
لن أتمنى أن يسبقني أحد سواي
وإذا خسرتُ أمام نفسي
فلن يربت على كتفي سوايْ

وإذا سكرتُ
لن يوصلني أحدٌ إلى البيت سواي
ولن ينام بجانبي أحدٌ سواي
ما من أحد أدخل الدفء إلي
سواي

وما من أحد

قال لي كلمة حب واحدة سواي

لأنني إذا متّ

لن يبكي أحد علي سواي

وإذا أردت الموت

فلن يقتلني .. سواي

مرمر **2002.4.12**

عود ثقاب يحترق

أنا الراقصُ المرتبكُ
الذي نهض من أجلكِ

وفي علبة السردين المصنوعة في المغرب
أنا رأس الفلفل الحار
الذي يرميه كل من يفتح العلبة في المشرق

وفي الباص المزدحم
أنا الراكب الذي يرتجف خوفاً
عندما يصعد المفتش

في علبة الثقاب المبللة
أنا العودُ الجاف

وفي قافلة الجمال العربية
أنا الجمل ذو السنامين
والكنغر الذي بلا كيسٍ في بطنه

أنا اللاعب الذي يخرج بالبطاقة الحمراء
والطالب الممنوع من الدخول إلى الصف

والزوج الذي يطرق الباب

أنا الهرُّ الواقف على المزبلة
بشممٍ وإباء

أنا الشاعر الذي يكرهه الشعراء والعشاق
وفي السر يقرأون قصائده

القبلةُ السريعة في المنعطفات
والبوح الفظ في البارات
وفي ساعات القيلولة
وأواخر الليالي
أنا العين التي.. لا تنامْ

أنا الابن الضال
الذي بلا صورة معلقة له في البيت
ولا مفتاحٍ خاصٍ به

الأسود في اسكندنافيا
الأبيض في أفريقيا
والأزرق.. في الصين

أنا الطلقة الرحيمة
التي لا تخرج من المسدس

زجاجة البيرة الفاسدة
ورغيف الخبز المحروق
عود ثقاب تشعله الكف
ويطفئه الهواء

أنا نهر الفرات
عندما يقطع الأتراك عنه الماء

أنا دم الشعراء المرميين على الأرصفة
والطبيب الذي يبكي لأجلهم

وسريرهم النظيف في مشفى قذر

أنا الضرس الذي يخلعه طبيب الأسنان
دون تردد

والطفل الذي تجهضه الأمهات
والكتاب الممنوع

أنا عود الثقاب المحترق
في علبة الثقاب المبللة
التي جفت.. الآن

نادي الصحفيين **2000.9.10**

وتـركتُ لكْ

وتركت لكَ.. نعومةَ الفراش

وأخذت معي قلقَ نومي

وتركتُ على المائدة

كأس وردكَ

وأخذت قلة طعامي

ومن أمام الباب

أخذت تعب أيامي الواقفة

وتركت طرقاتي الملهوفة

وتركتُ لكْ

وتركت على الطاولة

الشعرَ الصامتَ

كي لا أجرحَكْ

وتركتُ

نقاءَ الشعرِ وصفاءه

وأخذتُ فوضى الشاعر

وفقره.. وشرفه..

وتركتُ لكْ
وتركت رقصي النادر
وضحكاتي وضجيج النكات
وأخذت كآبتي وصمتي
وتركتُ لكْ

وتركتُ أصابعي التي عانقتكْ
وأخذت أصابعي التي ودَّعتكْ

وتركت فمي الذي قبَّلَكْ
وأخذت فمي الذي شتمَكْ
وتركتُ لكْ

وتركتُ حرارة المدفأة
وأخذت دخانها والرمادْ

وتركتُ الكتب التي تكمل المشهد على الجدار
وأخذت منها رعب الحقيقة
وتركتُ لكْ

وتركتُ لكَ البيت
وأخذت معي وحشة البيت

وتركتُ أغاني الأكراد الجميلة

وأخذت حزنهم والشتاتْ

وتركتُ مني ما قد يسندكْ

فما الذي مني

أخذته معي

وما الذي مني

تركته لكْ

دمشق **2000.3.6**

الأب الضال

يلمعُ في الظلام

ويأفل في الضوء

وحيثما كان

ستجدينه محاطاً بالكراهية

وتعبرين

على رصيف

يلمّع الأحذية

وخلف زجاج المقهى

يقرأ جريدة البارحة

في الزحام

سيرتطم بكتفكِ

وستأخذين معكِ

رائحة الخمر

وعينيه المليئتين بالدمع..

وتعبرين

يبيع الجرائد التي تشترين

والعطر الذي تضعين

ستلمحينه

يتأبط فتاة قبيحة

وبشعره الطويل

ستجدينه يعانقُ فتاةً جميلة

وتعبرين

يشرب القهوة مع الطلبة

ويتحدث في الندوات

وخلف قضبان السجون

ستلمحين ما يظهر من وجهه

وتعبرين

وراء شبابيك الجيران

تحت الجسور يتقي المطر

أو يبيع كتبه القديمة

في المراكز الثقافية

يقرأ الشعر

وفي البارات

يحادث السكارى المتعبين

تحت أسّرة الغرباء

وفي خزائن النساء الخائنات

ستلمحينه..

وتعبرين

الكلمة على طرف لسانكِ

الغصة في حلقكِ

الفكرة الضائعة في بالكِ

كوابيسكِ ..أحلامكِ

والهالة المحاطة بالكراهية

ترينه في المطاعم

يحاسب عن كل الزبائن

وفي الشارع

يستدين من سائق التاكسي ثمن الطعامْ

تحت سقوف التوتياء

وفي الصالونات الفخمة

تحت المطر

وبين المتعلقين

وتعبرين

تحت رفّات شعركِ
وبين أنفاسكِ

في الملاهي والشوارع
في المقابر
في ذكريات المسنين
وأنين الرضع
ودفاتر المراهقين

في كؤوس السكارى
وورود العشاق
وتقارير المخبرين

هُوَ.. هُوَ..

وبإصبع ثابتة. .
ستشيرين
وبفم ملآن ستقولين:
هذا هو أبي..

دمشق 2001.11.10

نحن الذين قُتلنا

في كل الحروب

في حرب البسوس

وتأرجحت جثثنا على مشانق الأتراكْ

في حرب طروادة

كنا خلف الأسوار

جفّت الدماء في عروقنا

ولم يمضِ المحاصِرون

وكنا خارج الأسوار

اهترأت جلودنا

ولم يستسلم المحاصَرون

طاردنا أبا جهلٍ

وحظينا برأسه

وقُتلنا على أيدي أعدائه

أنهكتنا الحروب

فتجمدنا في المتاحف
أوقات السلام

نحن الذين قُتلنا
في حرب حزيران
في حرب أكتوبر
وفي حرب تشرين
في حرب الأكراد
وفي حرب الشيشان
بين كوسوفو و الصربِ
وبين البوسنةِ والجسرِ

نحن الذين قُتلنا
ومُنعتْ أمهاتنا من البكاء علينا.. فزغردنَ
ومُنعنَ من الحِداد
فارتدينَ زهور البراري الصاخبة

اقتادونا إلى القتال
وهرب بعضنا إلى بلادٍ آمنة
فماتوا اختناقاً في الشاحنات
وسحقوا تحت عجلات القطارات،

ماتوا مستوحشين تحت ثلوج شمال الأرض

نحنُ الذين قاتلنا أعداءَنا

ونحنُ أيضاً أعداؤنا

تَعلَّمنا الموت مبتسمين

والحياة متجهمين

فبنوا لنا ضريح الجندي المجهول

منّا الذين كانوا مع الوليد

وقتلهم الوليد

ومنا الذين سامروا الرشيد

في لياليه الصاخبة

وشنقهم لحظة صحوه

ومنا حرس الثورة

الذين قُتلوا كي تعيش الثورة

لمحنا الجبناء في جنة أسيادهم

ومتنا صامتين

ودُفِنَّا بجانب شعرائنا المذعورين

بشرفٍ هو الصمت

نحن الذين قُتلنا

ومُنعتْ أمهاتنا من البكاء علينا

فزغردن

ومُنعنَ من الحداد

فارتدين زهور البراري الصاخبة

نحن الذين..

عندما يموتُ أحدهم

على سريره

وتحت مباضع أطبائه

دون أن ترى عيناه ساحات المعارك

يجروننا من ضريح الجندي المجهول

يُخرجون الدموع من أعين أمهاتنا الجافة

ويرمون بالسواد عليهن

يُنهضوننا من قبورنا

ويسيِّرونا حزانى في موكب الشهيد

دمشق 2000

يفوت الأوان

يفوتُ الأوانُ
على ما كنتُ أنتظرُ

تفوتُ نومي الأحلامُ
يفوتُ الأوانْ

فاتني حنانُ لمستكِ
وغنمتُ بالأسى

تطولُ في كفي
مصافحتكِ الأخيرة
وفي عينيَّ
صورتكِ الأخيرة
وفي روحي صدى سعادتكِ الأخيرة

تفوتُ دمعتي كفَّكِ
فتسقطُ أرضاً
ولا تفوتُها الأقدامُ
ويفوتُ فمي الكلامُ

تفوتُ العصافيرَ قمحي المنثور

وتفوتين تلويحتي الأخيرة

تفوتُ العصا كفي الراجفة

ويفوتُ قدمي الطريقُ

لا تقتلني بيدكَ

اقتلني بيدي

يفوت فمي الشرابُ

ومسمعي نكتةٌ لنديمٍ

وأغنيةٌ لجليسٍ

تفوتُ قلبي

نظرةُ امرأة غريبةْ

ضعيفاً وهشاً

تفوتُ كفي العصا

فأتكئ على جدارْ

يفوتُ قدميَّ الطريقُ

ويفوتني في أوقات الضيقِ.. الصديقُ

دمشق 2000.3.6

الملاك الغاضب

لا تعبرْ من أمامِ البيت

وإذا عبرتَ

فلا تلتفتْ

لأنك لا تعرف

أن في البيت

من يشتاق إليكْ

لا تطرق الباب

وإن لمحتني

لا تعانقني

لأنك لا تعرف

أن في هذا الجسد

من يشتاق إليك

اقتلني

وصفّر بفمكَ

كأنك لم تفعل

ولا تَسَلْ عني

ومزق صورتي في عينيكْ

لا تبحث عني في الشوارع

أو البارات

ولا تأخذ بكلام الناس

اعرفني وحدكْ

فتقتلني وحدكْ

وتبقى روحي في جثتي تشتاقُ إليكْ

دمشق **2002.7.13**

تحت غيمةٍ معاً

هل سنكونُ معاً

في الخريف

فوق أوراق صفراء

تئن تحت أقدامنا

هل سيحركُ الهواء شعرنا معاً

هل ستبردين

فأعطيكِ سترتي

جاء الخريف

والأوراق الصفراء تئنُّ تحت قدميّ

وأوراقُ أخرى تئن وهي تسألني عنكِ

هل سنكون معاً

تحت غيمة سوداء

تسقط أمطار الشتاء

وتبلل الأرصفة والسيارات والمارَّة

وأنا دونكِ ودون مظلةٍ

لا أتبلل تحت أمطار الشتاء

إذا جئتكِ لاهثاً

فلا تفتحي يديك لعناقي

وإذا عانقتني

فلا تتركي رأسي يسقط على صدركِ

امنحيني لذة المتأخر على حبكِ

لذة الأصابع وهي تتألم بين الأسنان

لا أعتز بمسرحي

إنما بضحكتكِ

لا أعتز بقصائدي

إنما.. بدموعكِ

بعدكِ

كانت الشمس لاهبةً
ولكن الصباح لم يكن مشرقاً

أشتاقُ للخطأ

كي تؤنبيني

أنا الحنينُ إليكِ

والعواء الحزين

أنا الذئب العجوز

في بيته الخالي من العظامْ

هنا عاش

في هذه الرقعة التي تسمىّ جسده

لماذا لم تحرقوا الجثة

ما الفائدة من هذا القبر

إذا لم تسقط دموعكِ الساخنة عليه

بحثتُ

ولم أجدكِ

من ذات الطرقات

مررتِ

وكانت آثار خطواتي

تتألم تحت قدميكِ

دمشق **2003**

شخوص الممالك الزائلة

قصيدة

إلى شاهي وحسين . . والديّ

I
الشخوص

وحتـى أسـتظهر الممالـك كلـها ، وأودع أحـوال شـعبٍ في خيـام شعوبٍ أخرى.

وحـى أتمالـكَ نفسـي.. أتقـدَّمُ، لا شـيء ينحـيني عـن الملـهاة، ولا أقلامِ ستشطب مالن أكتبَ

بلا رأسٍ أتقدَّم حاجباً ما دحي كلامي وحاجباً الملهاة بجسدي

أنفردُ بالسرد ولا أدع للهواء رئةً تتنفسه

(ليست الرئات مجالي) قال الهواءُ

ثم عصف حتى ظننته الريح

الهواء

أول الشخوص، بداية الملهاة، المنسّل بين الرئات كشهيق الهواء، المرجوم برئة ثقيلة تحبسه قليلاً ثم تفلته والهواء آسن يحتاج طواحين ترد خيلاءه، دون ضجيج يخرج المهزلة عن المنصة، دون رجال يلوحون بسيوفهم في الفراغ..

الهواء الهواء..

التراب

خذلتك الريح فتغبرت بلهاثنا، خذلك الماء فأوحلتَ بالدم، بعد الحروب التي دارت فوق ذراتك، والوجوه التي أخذت أشكالك، تستحق أيها الراقد أبداً بين القبور والأحياء، تستحق أيها المتلصص على الجبال أن نسميك.

ويا ترابُ، من أنتَ بعد الريح، ويا غبار من أنتَ بعد الماء

- من عرفك عرف آثامه واستراح -

من أنت بعد الريح

فتعبث بنا كما تشاء

من أنت بعد الماء

كأنه المتماسكُ فينا والمتناثر حولنا، ذلك الموحلُ في شتاءاتٍ لم يباركها الرب، الهثْ قليلاً لنعرف طعمك، الهث قليلاً لنعرف حجم القوالب التي يصنعها الأكراد منك

يا مبتغى ملوّثاً بمياه الآبار والقش، ماذا سوى بيوت هشّةٍ و بشر يشردون كلما رأوا خريطة.

غابرٌ الميدي، متعالٍ على بكّائيه ونوّاحيه، غائصٌ في تراتيل الشعوب وملوَّثٌ منذ الخليقة بالدم وطعم المجازر.

اقتربْ من الفضيحة التي أرتبها ، اقتربْ من شخوصي المنكوبين والمقتتلين على مسرحي الصغير

(يقترب)

يا ترابُ لقد استدرجتكَ إليّ

اخرجْ قليلاً من كلامي

اخرج إذن.

لقد طمرتني.

الماء

حتى لو كان حدودياً، حتى لو تموج قليلاً وركد، حتى لو أكل اليابسة شتاءً، فنحن الماء، بداية ارتطام الذرات ببعضها البعض ومأوى الأسماك والنقيق الآدمي.

حين يأخذ الرمل عشيقاً آخر وتبتعد الشواطئ عنا نحزن، ثم نبكي بفم مليءٍ بالحصى.. ونفيض، زهونا الهواء، زهو رقدتنا الأبدية، حليفنا الحائم والمنسل بين الغلاصم معنا.

نحن الماء، وقريباً تنتسب إلينا الأطراف كلها وفينا تنتحبُ.

نحن الماءُ، وقريباً تقتل فينا الأطراف كلها وفينا تنشق عن بعضها وتنفصلُ.

نحن الماء، ننفجر فتطفو الأطراف على الزبد.

يوم جلست الأطراف على المنصَّة وتبادلت الأدوار، فهتف الطرف للطرف والشق للشق

كنا نصغي ولم تكن لزبدنا رائحة غرقى قريبين، لم نجف بعد ولم نتوقف، ها نحن نقطع الحدود مداورين على السدود الكبيرة ومقتلعين السدود الصغيرة، ها نحن بعد كل هذا التعب وبعضنا المهدور على الضفاف.. نصبُّ في البحار.

النار

كما رقص اليزيديون حولك، وتحلقت الأعرابُ حول الشي الحيواني وشرب الإغريق خمورهم، يقف الكوجر الذاهلون، كوجر الهواء والجبال المائلة ، بردانين ينظرون.

يعلنون لكِ بردهم ولي، أنا الرافسُ شتاءات عمر، وناهرٌ لأمطار كانون، أنا الذي أطحت ببردي وصحت احرقينا، فما جدوى المهزلة دون حريق

احتضري على رقعتي الصغيرة

يا حوارنا المرتبك عند الاقتراب، بأيدينا المشقوقة نعلنك تاج ملوكنا ، شخوص أهوائنا البائدة في التاريخ

أقف أمامك

لا أستعيد سارقيك

ولا حكايات الشعوب عنهم

كأنني بوغتُّ بكِ

كأنني شممتُ ما يشبه الحريق

II

الثانويون

فاصل 1

حيثُ أنا على رقعتي، أقنعُ الشخوص بي، أستدرجُ الثانويين إلى مسرحي وأعلنُ فصولي المنكوبة، حيث أنا، حيث الأحزاب تنظر إلي نظرة العارف وحيث يترفع الملوك عني.

هيأت الخشب الساقط من مهرجانات قديمة وأدخلتُ حكايات الله المذهلة، خشبي المتربع عليّ، الآكل رأسي وأطرافي، يرهّل جسدي ويعلن إيقاعه الصاخب.

فلتكن الستارة حارة فتلك نبوءتي وكما يليق بالأجلاف صفّروا، احتشموا في المشاهد الحزينة وصفقوا للعرفاء.

راسخة أهوائي وشخوصي بائدون، منسيون في الكواليس وثانويون يتوسلون دوراً

يا لأدوار أمنحها أنا

يا لشخوص أرتبهم أنا

يا للمشهد يبدأ بإشارة مني

يا للمهزلة

الموتى

غابرون، هزمنا التراب والحجرُ تحت رؤوسنا

غابرون، جاء أناسٌ وأخذوا أماكننا

وما نظروا تحتهم

وما انتبهوا لاستغاثات جثثنا العظيمة

متراكمون صداً على الصدأ، نتحين رسولنا إلى الأرض

وننسيه حماقاتنا بالهدايا والغنائم

غابرون.. ودود قبورنا لا يدلُّ علينا.

الملوك

هواءٌ لكم، تباعدوا قليلاً واسندوا سقوطي، هواءٌ لكم، تصاون لسمائي، تفرقوا قليلاً ورتبوا كلامي، لا الممالك القديمة تعتقُ الهواء الذي مرَّ، ولا الدول الحديثة تقمعُ الثورة التي تحتي.

هواء لكم، كل قرنٍ أهيء لكم البلاد وأنتم بالدول البائدة غارقون، كلام مدهش لأميركم الطاعن واللاعن أباه، أوراقه لا تسودها عروش، كلام البرق للرعد، يهيئ ذروة لنتزاحم عليها، كلام الغيم للأرض، مساومة على مطر قد يكون، منذ أن بادت الأرض صار للصحارى طعم احتراسٍ ونكهة ذئابٍ لا تختبئ، منذ أن بادت صار لنا طعم لغة سرية تشطبها المدارس ويدونها الهواء، لن تأخذه ورقة ولن تغيبه ريح إلا وللمنصتين أثر فمه الأرعن، لن تميل رقبته إلا ولكم آفق التفاتته، حين تستيقظون وتحصون ممالككم، حين تستيقظ الريح على غيم يستدرجها لشتاءاتكم، حين في صفيره الغامض تترنحون، وقتها يا ملوك العراء سأهدهدكم وأحكي لكم عن أباطرة خذلتهم تيجانهم وعروشهم ذات يوم قبل الميلاد.

الأحذية

- وها نحن جالسون وأنتم واقفون.

يا ولد اقتربْ من الملهاة قليلاً، سأُلبسك قناع الواقفين، تمدد على الطريق ذاتها واحذر المارة.

- حذاء يلمعُ وأنت ترى وجهك فيه -

ماسحو الأحذية يلّمِعون الهواء، تخرج أنتَ علبة مطأطئة، ذريعة مصبوغة، وأحذية تلمّع وجهك

أجوبتك كلها صندوق صغير تنام فيه

فلتكن كراسيك أَخفض واقتربْ من منصتي، سأجلبُ لكَ إغماءاتِ زبائنك تحت الشمس، سأغريك بمسرحي

على مسرحي سأجعلك تمسح الرؤوس.

الجبال

قامة الليل، مكللون دوماً ومنسيون على الحدود، أقترب من شخوصي المرتفعين وأنادي: جودي، جوووودي، فيلتفتُ تاركاً لثلوجه حسرة العراق وحذر الأتراك، جودي ويلتفتُ مودعاً في حنان التفاتة الكبير، قامات طويلة، صمت لا يوازيه كلام، وصدى لطلقات حرس الحدود، انتشر الله في شخوصي المرتفعين، ضاع المهربون بين المقاتلين والمقاتلون بين الجنود والجنود بين الأهالي، بينما الحدود تصف لشخوصي مكانها.

قامات تلتصق بالماء وتحكي للهواء عن المهربين والسياسين الأجلاف خلف شواربهم المنكّسة.

الجبال المرصوفة فوق بعضها، المزهوة والخجلة من بعضها، وحدها تعرف السهول، وحدها ترى الجهات وأشلاء دجلة وفيضاناته وتصمتُ، خذ الثلج فترى كيف تذوب، خذ البغال المنفجرة بالألغام وأكياس التبغ فترى كيف تحكي، خذ علوّها فترى كيف تمتد وتمتد حتى تلمس الله، قامات حتى السماء، قامات ترى المكان وحدود المكان وتصمت.

الحدود

حيث العسكر والألغام، ناسٌ يقفون بأصواتٍ أجنبية وأفواهٍ مفتوحة ينظرون، حيث دون بطاقات شخصية ينتظرون الله ليتعرف عليهم، دون بطاقات يتجولون في المدن ويتركون للشوارع رائحة جنسياتهم الغامضة.

.. دون بطاقات يأكلون، دونها يشربون ويتزوجون، ملطخون بالحدود حيث الله يجهل رعيته وحيث الرعية تبحث عن إله مكلل ببطاقة شخصية.

وحدكِ يا حدود تعرفين الذين ماتوا مجهولين من الحكومات، وحدك تعرفين أسماءهم المحفورة على عظامهم وأصواتهم المدوية في الأعماق، وحدك شاهدت الذين انفجروا مع دوابهم ولم يتركوا عظمة تدل عليهم، وحدك تعرفين اللحم الذي تناثر في الفضاء والدم الذي سال من الخراف والماعز المرتبك عند حواف الجبال.

الذين دون أسماء تحزَّبوا، دون أسماء شاخوا في أحزاب تتناوبهم، رجالٌ ملتفحون بأشباههم خلف الحدود.

نساء مزهوات بجلافة أولادهن.. هناك.. حيث كل شيء للحدود، حيث كل شيء يضيع على الحدود، حيث يترك الرب رعيته للذئاب وحرس الحدود، هناك، حيث دون بطاقات يموتون.

جهة

أقنعتنا باحتمال الهبوط، أقنعت سنيننا الهاربة من القحط بنبوتك، سيد تشير لك البوصلة، شاهدة صغيرة تميل عليك.

زنديق مختبئ في لحى الشيوخ المصبوغة بالحنّاء وعربات يجرها بشر بدل الحمير، كأنك منشق عن شعبٍ قديم وأغانٍ مرتبكة، سيدٌ ولوقفتك رائحة العشائر الغابرة مهزومة جيادك وأغانيك، مهزوم وقتك الراقد بين (ديرسم) و (آمد) وهو ينتظر اسمك المدهون بلكنة أبنائك، سيد ولرجوعك لون المذابح، ها بسملة الهواء لم تبدأ باسمك، ها اللحى لم تشبه كلامك، وأنت مغرورق بالثورات واحتمال عثورك على قبر الشيخ سعيد.

سيدٌ ولوقفتك لكنة تروح وتجيء وتختلط في الجهات.

جهة

ما خذلتك الحدود بعدُ ولا الجبال، ما خذلتك، ريحُ الشمال، ولا رائحة المجازر المتكئة عليك.

يتقدم مدججاً بذل العراق

يتقدم مدججاً بصمت العراق

ثم يهرَقُ الريش على الصخور وتنعق الغربان فوق الدماء

جهة تستمد سوادها من العراق وعبورُ أخيرٌ للقتلى المؤجلين إلى السماء، قريباً من الجهات المتدحرجة صوبنا، قريباً.. حيث نغتسل بدمٍ نعرفه.

جهة

متآكلون، وأبطال الملهاة ينتظرون، ثم تجيء الأفاعي مكللة أكتاف (أزدهاك)، تتقدم الحاشية مودعة فيه يقين الرؤوس المبتورة وشكوك الجبليين المنتظرين.

تتراجع الأمبراطورية عن شاهها، ويتراجع الجمهوريون عن عامهم الوحيد، ليتقدم الربُّ في هيئة آياته.

اكتبي يا تماثيل تنخر بعضها بسوادنا وذهولنا، ترنحي قليلاً إذا باغتناكِ، وأنتَ.. سيد الملهاة.. احزن قليلاً فما زال ورثتك حزينين.

يا إله الميديين حدِّق جيداً، يا إله الفرس اسمعني

يا إله المنصة تعذَّب قليلاً، تململ واقرض أظافرك فلم تبدأ الملهاة بعد ولم يأت سيدها

(قاضي محمد).. أحفادك ناموا على الهزيمة، فلأكن ومسرحي حذاء لكَ تلبسنا وتتمشى في الجمهورية القتيلة بعد عام، فلأكن ومسرحي شخوصاً لك تحركنا حتى المشانق.. آاااخ

أي حبلٍ كان ذلك الحبلُ؟

أي شعب كان ذلك المسوِّر حدودك؟

(قاضي محمد)، ماذا فعلتَ حين تقدم الجنود وتراجع البرزانيون إلى جهتهم ؟

اكسرْ الجمهورية إذن

اكسرْ المقصلة بجمهورية المجانين وأنصافهم

اكسرْ الهواء

برئة مدهشة

اكسرْ العرق بالدم واشرب

فما جدوى موتك الآن، ما جدوى اللوريين وحيرة الله الأزلية فيهم

اكسرْ الشعوب بذلك الشعب واشربهم حتى جمهوريتك.

فاصل 2

أسمعُ البلادَ، أسمعُ المقابرَ وأرتمي عليّ

كانت التيجان تتبارى في العلو، كان الأسود منتصراً وحاملاً غنائمه من الأوسمة والجنرالات والخونة، وأنا الأقل خيانة سأكفّر عني وأسردهم، أنا المندهش من خنجري، أكتشفُ شعوباً تكاد تذبل فيَّ، لم أكن سواي ولكني سقطتُ عند أول ممثل في لعبة الأدوار وشغب الشخوص، فليكن الحزن سيداً في مسرحي، وليكن خاوياً من الكلام، حيث مَنْ فوقي نادمون أبداً، يتساقطون جارفين معهم الجماهير المحتشدة تحتي.

ولم يكن ربي تحتي لأنني..

ولم يكن ربي فوقي لأنني..

أنا الرب والملائكة والرسل وعبادي

أنا الشيطان وزمرتي وفرائسي

كيف سأعرفُني

كيف أدهشُ الأرض بدورة معاكسة.

البلاد

حـائر في البدايـة عنـد أول المحتشـدين تحـت المنصـة، يبـدأ الخطباءُ..

يا للهواء الضائع في فضاءاتك، يا للماء المسفوك على ضفافك، كأن الندابات ينتحبن عليك، كأن الساحرات يتحدثن بشأنكِ.

البلاد المرتكزة على أصابع الأب تتهدُّ قطعة قطعةً

وها أنذا نديم البلاد، ومحذّر قراها من البرغش والبعوض، وها أنا سليل البلاد أقف عارياً من البلاد.

الأحزاب

جاؤوا من خلفك ولم تعرف كيف دخلوا، كانت لهم رائحتك ذاتها وشقوق يديك ذاتها، لكنك استغربتهم، وفي ظهيرة حادة اكتشفوك، مالوا عليك وأخفوا ظلك.

وضعوا ليديك إشاراتهم ولفمك كلامهم وأطلقوك، ربتوا على كتفيك، مالوا عليك فأخفوا ظلك وأخفوك. بملامح مثقلة بالموت.. دفنوك، وكما يليق بشهيدٍ.. شيّعوك.



الذين أهدروا أصابعهم في رسم الخريطة، أهدروا وجوههم في التقاط الصور.

قل يا رب الأحزاب المتناوبة على خشبي

قبل أن تدور الأرض عكساً

قبل أن أتمرغ في الوحل وأعلنُ هزيمتي.

الشعب

لـذلك تعالـت الحـدود عنّـا ، تراخـت المـدن والتـواريخ رفضـت أسماءنا ، من أعلن أن الأرض ستطمرنا وأن أحفادنـا لـن يليقـوا بالحضـارة المقبلة ، لقد اهتزت البلاد في الجهات الموروثة عن الأحلاف الغابرة.

ـ ذات يوم شتمنا البترول وآبار كركوك المفاجئة

ـ ذات يوم عرفنا أن الذي داعب شعباً فوق الموائد طعنه تحتها

كنا نعرف كيف نخرج من مجازر كبيرة أو صغيرة مبتسمين وعلى وجوهنا صورة قريب أو صديق مُ بَ أ ْ د

كـان القتل سيداً ، والمكـان يغـص بالعسـكر وأسـراب سنونو أغراها صحو المكان باحتمال المجزرة

تساقط أناسٌ لم تكن لهم إطراقتنا عند كل نبأ حزين

كلما دنوتَ يا شعبُ من مجزرة غافلتَها ورميتها في حفرة عابرة ، كم مرّةً مُلتَ على نفسكَ وأنت تذكر كيف لهثتَ من (آمد) وسقطت عن جيادك عند أول صرخة ارتطمت بأسوار حلب وما عادتْ ، كم مرّة يا شعبُ مُلتَ لتلتقطَ نفسَكَ فما التقطتَ سوى الدم ، كم مرّةً يا شعبُ أُفلِتَتْ عليكَ كلابُ مجوَّعةٌ وكنتَ بين أنيابها تتناسلُ وتولدُ.

الحرب

أوراق الـريح المبعثـرة في الـدم السـائل، أوراق الـريح المكتوبـة بأسرار القتلى على حافة الحرب، كوني فسحة، واحـدة للخـراب وأخـرى للأنوثة المضطربة في مزاجك.

واحدة للأسلحة التي غادرت إلى الخصوم.

في الحرب يموت الجنود وتعيش الكراسي

في الحرب يموت البشر ويعيش الله

وها أنا أدبر صدفة للتعرف عليك

هدنة 1

الحرب حرب، ولكننا نريد هدنة

هدنة مدهوشة من جلافتنا

فلتكن الهدنة إذن

فتلكن ميقات توقف مريب يا حربُ

هدنة 2

هدنة أخرى يا حربُ

لأذرع الجنود المفقودة

فقد تجلى خصومي الآن

وحكمتِ بيننا بالموت

هدنة أخرى إذن

كي نموت فيها

في سورة الموت تتحاربُ الكلمات، في أسرار الأرض تستفحل الكراهية وتدق الطبول وترتخي المزامير في الأفواه، ثم تشتعل، تغري الجنود بالحياة فيهجمون . والموت حلم الحرب .

ـ لا تبتعدي يا حرب، سأجلب لكِ دماً كثيراً للزهو، دماً كثيراً لترفعي رأسكِ فخورة أمام الله.

هدنة 3

والدمِ.. أقفوا صراخكم قليلاً فأنا أكتبُ

ما لن يحدث، هذه فسحتي، فسحة أهوائي

الباطلة في وقفة الجنود الأجلاف الذين ما ضجروا

من الموت بعد.

كي لا تكون لنهايتي قفلة الهدن، أكملُ كلامي، أغالي في الوصف، وأعبر بأسراري الألف فأنا الحربُ، ما عاد البشر مسالمين فيَّ، وما عاد لدفتري حبر الدم المرتجل عن الأجساد الهزيلة، ها أنا متقدمة وخلفي غبارٌ ينبئ بهدنة قادمة.

الجماهير

وحتى آثق بمكاني الصغير، أستدعي الأقنعةَ المزركشة بزينة المهرج وأنفه المكوّر ، أدنو من الجماهير تحت منصتي وأعلن نبوءتي.

- كأنهم يصدّقون الأقنعة ويكذّبون الوجوه -

كما هم دائماً، صنوف الجالسين تحت موائد الخطباء، الآذان المنحنية للسان الحائم كالسوط، والبلاد الغبية فوق منصة الحكماء ، سيدة الإصغاء، سيدة الأناشيد المبتذلة عن أعوام تشبهها، سيدة الرقص الخليع واستمناءٌ ممتع بعد كلام القوالين، الجماهير الغاضبة واللاعنة أعواماً لم تلسعها جيداً بسياط الحكمة الربانية، الجماهير المتساقطة من الجرائد والمحتشدة في صفحات الإعلانات.

محمدي بنفشي المهرب

أقتربُ طفلاً من بيته، مهرِّبُ الهواء من دولة لأخرى، مهرِّب أحزاننا وعويل أشباهنا خلف الحدود، مُدَاهَماً بقبعات الشرطة المدورة، مُداهَماً منذ الولادة بطلقات العسكر.

نلمحه ليلاً خارجاً من بيته سراً كما دخله.

ـ يذكر الجميع كيف سرق سيارة الجيب الحكومية إلى تركيا آخذاً معه لهاث الشرطة وعويل السائق المنكوب.

الغجر

رجالٌ من نسائهم، بجلابياتهم البيضاء الناصعة وعقالاتهم الأنيقة، يدخنون في الخيام ويقتلعون أوتاد بعضهم عند أول شجار، رجال من نسائهم، يعملون أزواجاً لنسوة يحُمْنَ كالنحلات في القرى، ويتباهون بحزاماتهم الرابطة مسدسات وأعماراً متكئة على أفواه فاغرة لنسوة فاغرات أمام أبوابنا.

غجريات يستعمرن مدنتنا الصغيرة بأسنان الذهب وبضائعهن المكتسية بشبق إلهي، بينما تقف سطول اللبن يائسة من مساومات أمهاتنا الثرثارات، زرقة الوجوه الداكنة المنشغلة عن المرايا بالتجارة وصناعة أسنان الذهب وبيع اللبن ، كم كان الغجر عارفين بأحوالنا، كم كانوا مزهوين بذهب يلمع في أفواهنا ، فتلكن للغجر أسئلتي وعلكة الأشجار المطقطقة في أفواه أمهاتنا وأخواتنا طيلة النهار.

المهاجرون

عينٌ على الخسارة وسقوط مدو، كذلك كان المهاجرون بعربات الخشب وأوتاد الخيام، لهم كل عبور فما من فضةٍ ستعلو على رنين عرباتهم، وما من صخبٍ سيقتحم غبار وجوههم.

بوجوههم الجامدة يغمزون اللّه ويسألون البيوت عن طعم سكوتهم، المهاجرون من الثورات الفاشلة وزعماء الحركات والعشائر والطوائف، كانوا حزانى فلم تنظر إليهم الشمس ولم يرمِ الأطفال أسنانهم إليها كي تبدّلها بأسنان غزال، عين على الخسارة وأخرى على المهاجر وهو يرمي وطنه إلى الشمس.

الحجل

إذا احتكمتُ للبياض الأول

قلتُ كيف الهواء الباقي

لقد سقطت جحورنا في الجبال

أغمدتُ صوتي - إن الفم غمد مستحيل -

هيأتُ ما تبعثر من هواء و أضرمته بالأجنحة

ستبدأ المهزلة وعلى الحجل السلام

من يذكر قامات الصيادين وهي تستحلفني ألا أسرد

ها قد تبللت بالمطر الذي لم يهطل بعد

ها قد اكتشفت علوِّي

الحجل

وبعد، أما آن، كل الذين سبقوك إلى الفخ ساقوك إليه، كنت تعدها حفرةً حفرة وتسقط وعند آخر الحفر تُردَمُ، أنت الرفرفة القصيرة، يريبك الدجاج والبيض الآمن ، لا ذبح في كواليسك ولا ألفة تغريك بالسياج.

إنك الحياد العالي ، لم تبنِ أعشاشك كي لا تتهدَّم، فتحتَ أجنحتك على عشائر ومفاوضات، لو أصلكَ بغير هذه الريح، لو أدور حولك ولا تنتفض، هل ينتقيني المكان حليفاً للريش وسارداً وحيداً للفضاء؟!..

- اقرأْ، باسم الهواء الأليف

- ما أنا بطائر

- اقرأْ باسم الريح التي لا تواتيك

- ما أنا بطائر

باللهاث الساخن اقرأْ، بالجناح القصير أو رفرف حتى الأزل، ارتفعْ.. إلى بداية الريح، لقد أشعلت المساء باللون الشبيه وأشعلتنا، رفرف إلى الحنين العالي، إلى الهواء الذي يشمك فأنت ربيب السفوح الآن، ليمتزج بريشك الهواء، إن الظلال التي لا تشبهك لا تطير.

رفرف واحذر الأرض

إن الحجل على أشكالنا يقعُ

الحجل

حجل بداية القصيدة ينبئ بالأجنحة

وعلى مشارف اللغة يمتزج بالريش

حجل تحت أعمارنا يهيئ للجبال قفزتها وبين أشجار السفوح

حجلْ

- تقف أنت مكتظاً بصيادين أخفقوا فيك -

إنك البسملة الأخيرة لسورتنا التي لا تبدأ

الرئة الثقيلة خلف لهاثنا

تستبيح السفوح موطئاً لفخاخ الصيادين

بحكمة الصياد المترف تبدأ المهزلة

حجلٌ إلى الفخ يستدرج حجلْ

الحجل

كـان الهـواء طازجـاً لم تعكــره الأجنحــة، قلنــا بريشــة تبـدأ القصيدة وتنتهي بدم، من يصفق للأرض يَطِرْ عنها، ومن يلوذ بريشه يَذق الهواءْ، لقد غدت القصيدة في الفضاءْ.

من علّمنا لغة الزغب والدحرجة المهدورة للجبل الوحيد، صحنا يـا لهاثنـا المطـوي علـى جنـازات راكضـة، هـل سـتردم المسـاء بوقتـك الخاسـر، هـا قـد أغمضنـا عليـك وفتحنـا جناحنـا البـاقي للفضـاءْ، إنـك تشعل الصيادين الآن، وننتظر خلف لهاث صدئ، لا رمح يسد جرحاً عتيقاً ولا شعوب تنتظر حريقها المعتاد، فلنحتكم، بأي لون يريد البشر وليتلون الهواء، لتكن ما آسرفنا فيه.. أمبراطوراً للسفوح وأميراً يتهادي تحت ريشه.

أهدرت منقارك بالديدان واحترت بين أقدامك والأجنحة، مشية مريبة لطيور تهادن الأرض.

ملك تحت أوراقنا ، رأوك غريباً فهربوا إلى مكانٍ يجهلون.

اتخـذك شخوصـي كلامـاً لهـم وأنـتَ راقـد منـذ البيـوض الأولى مكللاً بدهشـة مـن رآك ، تخـرج القـرى، والـتين اليـابس وحليـب الفجـر منك، ثم يغمدونك في الفراغ ـ عار من الغمد أنت ـ

هـذه مملكـة الـتين، تحـولات العنـب إلى زبيـب ، امبراطوريـة الحليب الباكر، منذ حجل تمطى على السفح وأعلن الريش بأجنحة قصيرة، خرجت العربات معلنة توبة الماعز ونقار الخشب بجياد من علف وصهيل، والحدادون استنزفوا بأكوارهم شعوباً زائلة، والملوك يبدأون بالصولجانات ولا ينتهون، والملوك ينامون على وسائد لا تنشق عن ريش، ثم يسمُّون الحكايا الشعبية سوداء ويقلونها حتى تحترق، قاماتنا تلتفتُ إليك وتندبك، لم يكن جناحك طويلاً كي تمزق الهواء، لم يكن لمدارجك الأمان لتضع بيضك دون أن تنقره، لم تكن لأجناسك ضراوة براريك فدهشت لدجاج البيوت وضحكت كثيراً من الديكة الشبقة، لم يكن لك أن تثبت على الجناح أو القدم ففرَّ منك الفضاء والأرض لم تلامسك، فلتكن لهوائك سطوة الزغب ودخان البيوت.

II

الصعود والاختلاط

هذه لعبتك أيها السارد، وما المقتتلون إلا شخوص غامضة، هذه أحابيلك أيها الرواي والمسرح لا يتسع لأكثر من العناصر وهي تحتضرُ.

آه أيها السارد، كم بكيت على لعبتك وهي تخبو مع شخوصك، وكم عليَّ أن أدعك تكمل القصيدة، أيها المنهزم الوحيد في هذا الفضاء، أيها الغائب في متعة الأدوار أَكملْ إذن.

فأنتَ من ترك الثانويين يصعدون الحلبة

1

طارئ أنا على الخشبة وطارئة شهادتي

عارض سؤالي لهذا الاختلاط وعارضة أهوائي

غير متجذر في شيء كي أوقف المشهد، كي تستمر الشخوص على غير هذا المشهد.

باردٌ كما ستار مسدل، ما قلتُ إن دماً تسرَّب خلسة كي يرعب الجماهير، وما قلتُ إن خدشاً صغيراً تحت هذه الأضواء شوهد طعنةً، ما قلتُ ولكني وطَّنت الوشاية في جسدي، وهمستُ للطواحين عن هواءٍ لن يمرّ، همستُ للفجر عن أكوام فضة ورنين، وللأرمن عن لكنة الغرباء في كلامهم، قلتُ للهبوب المؤاتي للحكام والطوائف عن ارتطام الغبار برئات صلدة.

كل هواء هوائي وأكاد أختنق

كل ماء مائي وأكاد.

ما الذي اختلط على مسرحي غير الفراغ، من أيقظ لعبتي من سكونها الأخير؟..

أيها المشتت ريشاً على مسرحي أعدْ لمنصتي خشبها البائد، أعِدْ لخشبي دوده اللئيم. أيها المكسِّر أجنحةً على خشبي دعْ لوجهي بعض مائه ولقبضتي بعض التراب.

غوايةٌ هذا الدم، وحبرٌ ما سال من قلوب الشعراء وهم يدونون ما يحدث، أيتها الريح المصفّرة في قلبي

من قتل العناصر على مسرحي وأضحكَ الجماهير؟!

2

كما نعتاد دائماً، نقف مذهولين من حكمتك، من ترتيبك الأزلي للحكام والملوك، دون ماء تسيل المجزرة على سواتر من الزبيب والتين اليابس، دون هواء تتنفس الشخوص الباقية رائحة الموت، دون نار تشتعل الحرائق في أسواري الواطئة.

- لن تكتمل اللعبة إلا بحربٍ تخرب الصالة على الجماهير، لمن أقول؟!..

دائماً لا أجد من أقنع بشخوصي

لا أجد من يقنع شخوصي بي

حجرٌ أنتَ أيها المتفرج

والمشهد ينقصه الدم

3

مرةً اطحنْ الهموم وعويل الأمهات وبنات آوى

كي تكون لألاعيبي سمة الصمت والهدوء المريب

مرةً قفْ أمام الحشد المتدفق فربما ينصرفون عن مشهدي إليك

مرةً قلْ إن الذي سال من الكواليس ما كان أحمرْ

وإن الذي مرَّ قرب أنوفنا مسرعاً لم يكن دماً

مرةً أقنعْ الأفواه الفاغرة بسوائلي الغريبة ، هذه نعمتك

هذا دودك يا رب ينخر في الملهاة غير عابئ بنكبة أهوائي.

4

ما بقي من خشب لا يكفي للعبة كاملة

ما بقي من شخوص لا يليق بمشهد كهذا

وما بقي مني لا يستطيع سرد الرواية حتى خرابها

امنحني القوة يا رب

فصاحةَ البدو وشجاعةَ الكوجر

ذكاءَ الثعالب ورهافةَ الشعراء

امنحني كل شيطان وكل ملاك

كل شيء يا رب كي أنهي المهزلة دون دم

هذه الأشجار والزهور وأعشاب الربيع وعصافير الأرض كلها لا تكفي لنزهة واحدة من نزهات شخوصي

ترَّجلْ إذن يا رب من سمائك وليكن لكلامك طعم الأنس الغارق في وحشة الجن المنتظرين أمام بابي.

ترجل إذن ولا تقف حائراً مما رتبته، فمك فاغر وعيناك جاحظتان؟!..

لا تليق هذه الدهشة بعارف مثلك

أي خراب اكتملَ كي تقف مندهشاً هكذا

أي سر خبئ عنك كي تقف فاغراً هكذا.. ياربُّ

هذه حشودك أيها الإله، هذه صحاريك وبواديك قابعة في الصالة، هذا كلامك يسيل من شفاه غريبة، تقدم معي إذ يتقدم

المهاجرون محملين بأصناف التبغ ومدججين بثورات فاشلة ونهايات مريرة لقادة مريرين.

قلتُ احترسْ ياربُّ، فما ثوراتي بحليب يحمرُّ عند نهاية ثدي مترهل، وما شخوصي بـ (بربار) يقطفه الأولاد ويزينون به موائد الكبار.

احترسْ، وليكن لوقفتك طعم مراقب لخراب قاعتي عليّ

مرةً اطحنْ الهواء

مرةً امسحْ الخطوط عن جسدي.

5

في ردهتي الأخيرة توقف الحشد منتظراً إشاراتي

في ردهتي الأخيرة بكى الحشد منتظراً قامتي وهي تعلو في حفرتي

في ردهتي الأخيرة أطرقَ الحشدُ وصعدت الندابات إلى عويل لا يليق بخرابي

وتهاويتُ

يارب

هذه عيون لم ترفع مشهدها إلا لتراها أنت،

هذه جباه لم ترتطم بالحجر إلا لتسمع دويها أنت

هذه قلوب لم تنبض إلا في المناسبات والجنازات ثم توقفت، طيلة العمر

هذه قلوب لم تنبض إلا في القبور

كأن ما سيهوي عليَّ سيهوي إلى الأبد

وما أنت برب حنون

وما أنت بمباركٍ لعويلي

قل لهم.. يا شخص الريح وإيماء اللاعبين لبعضهم أنني غير آبه باختلاط الجهات في مسرحي، قل لهم أنني غير حزين لاقتتال الشخوص، وغير مستند في كلامي إلا لأهوائي.

أيتها الريح لا تعصفي بما ينكاثر من دود في جثتي، فما بقي لي

غير هذا ، وسيكون باطلاً من يحيل دون ذلك، وما لأقسامي إلا أن تلم صراخي الخائب..

هذا نزف أصابعي، حنون يهيئ الحبر اللازم للقصيدة، هذا ما يعتريني، فمن نسي أحاجيه في لعبتي، هذا ما حدث فمن تبددت روحه في شخوصي؟!..

للأدوار كلها، عبثاً أُلملم أطرافي

عبثاً أتذكر دماً سال مني

كيف أعلن ذروتي

وهل من متفرجين؟!

6

وقبل أن تصفق الجماهير يدخل الغجرُ مشمرين أثوابهم لأجل حرب صغيرة، وتحتهم أرطال التبغ وأصناف العطور والخناجر، ثم يُحشَرون في أقصى زاوية من مسرحي البائد. ولا تفوتني عذوبة الكوجر ونسائهم المائلات بطولهنَّ إلى شرق غابر، وللكوجر قلبي، وللكوجر آلهة من الصيد والهجرة والقرابين، وللكوجر "خمسة عشر ابن عم لي يُذبحون قرباناً في نهاية المشهد"

حزن لك إذن يا ابن ستارتي الغائبة في هذا الركام

حزن لك وأنت مغمض عن خراب يعتريني

حزن وأنت تراني أعبر حتى نهاية الأسرار والكلام

ولا أسرار تحتي، ولا كتابة كي يدونها المؤرخون، لا متسع للعبة أخرى فوق شطرنجي الغريب، فلا أحجاري أحركها، ولا أحجار خصمي تحرك هزائمي.

حزين وواقف منذ البداية على باب المهزلة أهيئ للجماهير دخولاً حميماً.

7

قولــوا للغجــر الصـــاعدين اللعبــة أن يرجعــوا ، قولــوا لأثــوابهم الناصعة أنني مخطوف قبل البداية بترتيل أسمائي، ولكنهم ما قالوا وما ردعوا الغجر الصاعدين، وما همسوا لفصول تنشد شخوصها قربي.

دمــاً.. فســكاكينهم غــير كافيــة لإعــادة أبطــالي، والوشــوم الخضراء على أنوفهم وذقونهم لن تعيد الاخضرار لما يبس في حكايتي.

ومــا قــالوا شــيئاً لأســنان الــذهب البراقــة وفســاتين النســاء المحملــة بالأولاد ، وما قالوا شيئاً للـذين نصبوا خيامهم وعنـدما خـذلتهم العناصـر اقتلعوا الأوتاد ولمعت أسنانهم وخناجرهم،

من هز كل هذا السكون على رقعتي؟!..

من هزم الغجر ونحاهم على طرف المنصة

مـنْ لَـمَّ الحـروب والمجـازر وراء الآشـوريين والأرمـن ورماهـا علـى مسرحي؟! وما قالوا شيئاً للوافدين الجدد والجماهير المصفقة لشخوص لم تكن في حسبان أدواري.

8

رتبوا ما شئتم، ما لا أشاء، فأنتم أسياد اللعبة الآن، وما خرج

من يدي لن يطير من مسرحي، آه من فجأة لن يتوقعها شخوصي،

من العناصر وهي ترقب الأحزاب الداخلة من الكواليس والملوك

المحتلين الخشب.

من الأرمن والآشوريين وهم يدونون حجم الدم السائل خالعين

الملهاة بخنجر من رقص وملامح ثقيلة.

لكن الصاعدين ليسوا بأبهة الذين قضوا على رقعتي..

اسألوني، فأنا الذي رأيت الباشا الأعمى محاصراً بجيوش

العثمانيين، وأنا الذي رأيته معتصماً براوندوز، وأنا الذي حفرتُ قبره

ووضعتُ ما تبقى من سلالته فوق كرسيه القلق، لأنني لا أريد شيئاً يا

رب سوى أن تكتمل لعبتي كما أشاء، أن يتصافح شخوصي قبل الستار

الأخير أو بعده، فماذا عليَّ يا ربُّ وقد جاء اللوريون مندهشين من زوال

المشهد، يا حيرتي، يا سقطة اللوريين وأشباههم في حيرتي، ويا جدواي

عند الباب هازئاً من غليان شخوصي.

صعد اللوريون وعندما رأوا الجثث احتاروا من يوقظوا

تقاتلوا واستاوا السيوف، ثم تعبوا..

وعلى رقعة من الخشب وضعوا رؤوسهم وناموا

وها أنذا في أنحاء الولاية منتظراً مع الجموع عودة الباشا الأعمى من استانبول ، وها قد مضت خمسة وثلاثون عاماً وما عدت أيها الأعمى.. أيها الأعمى.

9

وذبح ابراهيم كبشاً عظيماً قرباناً لفرادة النبوة العائلية ، وذبح الحداد أكباشاً عن السلالة المختبئة في الجبالْ ، كوني يا معادن مطرقة للحداد يلوح بك كما يشاء . المدجج بحرس نعسان، المكلل بتيجان أوسع من رؤوسه . مداهِمُ الشوارع بالأسيد وعظام المساجين المسحوقة.

اختلطت السماء فوقي ولم أعد سارداً مدهشاً وأميراً عابراً للملهاة.

يا أصابع الملوك اخرجي منا فنحن موتى ولا مجد لأحد بإهانتنا لا لذة في مداعبتنا نريد بلاداً كي نضيّعها من جديد.

10

أرقدُ على رقعتي الملوثة بحشود مهترئة من الكتابة وتدوينات المؤرخين.

ماذا فعلتُ كي ترجموني بكل هذا المشهد؟!..

إنني باهت وخوف مسرحي أن يهرِّبه محمد بنفشي إلى بلاد لا تفهمه، باهتٌ وخوف مسرحي أن يُحسبَ على قوم سافرين ،

ذلك أنا ، متبلور في شظاياي، فجّ في قساوتي ولمعان زجاجي الكتيم

يا للمواشير العاكسة عيني

يا لعيني الراقدة منذ الأزل على بداية المشهد

لا ستار لمسرحي، لا ستار لفضيحتي الحافية

مسرحي لا يمدُّ قدميه لماسحي الأحذية، يمشي حافياً وسط الحشود الحافية، ويغمز الصغار بقلبه الخشبي المكوّر كبيضة سرقها (مستو سعدونكه) دون حذر.

11

موجع ذلك العراء و (خانو) ذاهل مني، وخانو لم يعرفني، نسي أصابعي وكرتنا الحجرية، لا حيلة للمهزلة دونك، لا حيلة لعمري دون طفولتنا البعيدة.

كن ظلاً للرقعة، كن عشاً من أعشاش مسرحي أستريح فيك كلما تعبتُ.

على رقعتي سيسيل العرق، عرقي أنا، سقطاتي وارتفاعات يدي المسكينة أنا، غير المباهي بذريته البائدة أنا، الشيطاني، المرتبُ، المخادع، والواقف منذ الخليقة على الناصية، أريد ديوكاً ودجاجات للنزاع عليها، مناقير حادة وأصواتاً ترتفع في الهدن الطفيفة في حلبتي.. أنا.

كم رقدتُ في مكاني، كم انهلتُ على جثتي كتراب
وكم تمردتُ على قبري كميتٍ طائش
لا ذراع لي كي ألويه، لا فم لي كي أخرسه

يا لمسرحي إذن، كم سيتعذب من أدوار تقتتل فيه ثم يسيل دم حقيقي، دم لم أهيئه من عصيرة البندورة أو الكرز القاني.

دم له تهيئة الآلهة من أكباش ذبحها نبي أو حداد
دم من شخوصي المتعبين من قاماتهم
دم حقيقي من شخوصي الضجرانين من وقوفي الطويل

12

كم أريدُ لو أُدفَنُ هنا

فيمتلئ فمي بالتراب، فلا أصرخ ولا أصيح، وتجيء الملائكة وتنهر عظامي، كم أريد لو أدفن هنا، فيسيل من شفتي الشكر لمن منحني كل هذه المهازل وكل هذا الكلام

غير آبه للجماهير المنتظرة نهاية الملهاة وما يدور تحتي

فليخرج اللاعبون إذن

زائلون، شخوص الممالك الزائلة في احتضار آخر ريحٍ على ما كانت منصتي، كي تضيقَ صالتي عليَّ مكسرة عظام الجماهير وعظامي.

كم أريدُ لو أُدفَنُ هنا.

كم أريد

من **1987** إلى **4 ـ 4 ـ 1989**

قامشلي ـ حلب ـ دمشق

